القَوْلُ المُنِيف

في رَسْمِ المصْحَفِ الشّرِيف

للأستاذ المقرئ الشيخ

سعيد بن عبد الله المحمد العبد الله الحموي ثم المكي

رحِمَه الله

بسم الله الرحمن الرحيم

القول المنيف

في رسم المصحف الشريف

للأستاذ المقرئ الشيخ
سعيد بن عبد الله المحمد العبد الله الحموي ثم المكي
رحمه الله

حُقُوقُ الطَّبْعِ مَحْفُوظَةٌ

الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م

ترجمة المؤلف بقلم أحد تلامذته

اسمه ونسبه :

هو العلاَّمة الفقيه القارِئُ المُقرىء الشيخ سعيد بن عبدالله ابن محمد العبدالله **للأحسائِيّ** الحمويّ ثم المكيّ .

يرجع أصله إلى قبيلة بني خالد القاطنين بالأحساء؛ حيث غادرتها أسرته من نحو ثلاثمئة عام تقريباً .

مولـده :

ولد في سنة ١٣٤١ هـ في قرية من قرىٰ حماة تُعرفُ بقرية (الجِنَان) .

نشـأته :

نشأ في حجر أبوين عُرفا بالصَّلاح والتقوىٰ، وكُفَّ بصره في السنة السادسة من عمره .

حياتـه العلميـة :

حفظ القرآن الكريم في سنٍّ مبكرةٍ وهو دون العاشرة . ثم انتقل إلى مدينة حماة لطلب العلم، والتَّتلمذ على علمائها، فتلقّىٰ القراءات السبع من طريق الشاطبية على الشيخ نوري بن أسعد

الشحنة (ت ١٣٦٩ هـ) شيخ قرَّاء حماة آنذاك، كما أخذ تتمة العشر من طريق درَّة ابن الجزري عن شيخ قراء حمص وأمين الفتوىٰ بها العلامة عبدالعزيز عيون السود (ت ١٣٩٩ هـ) وأجازه كذلك بالقراءات العشر من طريق الطَّيِّبة .

كما تلقىٰ الفقه الشافعي عن الشيخ توفيق الصباغ الشيرازي أمين الفتوىٰ في حماة (ت ١٣٩١ هـ) وكذلك أخذ عنه علم الفرائض، والحديث، ودرس عليه ألفية ابن مالك في النحو كما أخذ الفقه الحنفي على الشيخ العلاَّمة زاكي الدندشي، ودرس أصولَ الفقه على الشيخ محمود عثمان .

وحضر في تفسير القرآن الكريم على الشيخ العلامة محمد الحامد (ت ١٣٨٩ هـ) والشيخ مصطفىٰ علوش .

وأخذ علم الصرف على الشيخ عارف قوشجي، وتلقىٰ علم الأدب والبلاغة على عدة علماء منهم الشيخ سعيد زهور .

كما استفاد من الشيخ سعيد الجابي ـ رحمهم الله جميعاً ـ .

محفوظاتـه :

بما أن الشيخ ـ حفظه الله ـ كفيف البصر فقد رزقه الله تعالى بصيرة ثاقبة، وقلباً حافظاً، وعقلاً متيقظاً، فحفظ كثيراً من المتون من نظم ونثر .

ففي علم القراءات والتجويد والرسم : الشاطبية، والدرة والطيبة، وناظمة الزهر، والمقدمة الجزرية، ورسالة أبي ريمة في التجويد، والرائية في علم الرسم، وهداية المرتاب للسخاوي .

وفي الحديث والمصطلح : جواهر البخاري، وألفية السيوطي، ومتن غرامي صحيح، والبيقونية .

وفي الفقه : المنظومة الكواكبية، ومتن القدوري في الفقه الحنفي، ومتن أبي شجاع، ومنظومة الزبد كلاهما في الفقه الشافعي، والرحبية، ومتن السراجية كلاهما في علم الفرائض . كما يحفظ مختصر المنار في أصول الفقه، والسلم في المنطق .

وفي اللغة العربية والبلاغة : ألفية ابن مالك، والأجرومية، والجوهر المكنون في الثلاثة الفنون .

وغيرهما من المتون العلمية .

أعماله :

درَّس في حماة، كما درَّس كذلك في قريته، وبعد وفاة شيخه الشيخ نوري الشحنة عام ١٣٦٩ هـ تولى مشيخة الإقراء بحماة خلفاً لشيخه .

كما أسَّس معهداً للدراسات القرآنية واللغوية باسم معهد الإمام الشاطبي .

كما كان عضوَ جميعة العلماء في حماة .

وفي عام ١٤٠٠ هـ قدِمَ حاجّاً إلى مكة المكرمة فطاب له الجوار لبيت الله الحرام فعين أستاذاً للقراءات في جامعة أمّ القرىٰ مدة سبعة عشر عاماً .

مؤلفاتـه :

لم يكن للشيخ وقت للتأليف، حيث كان جل وقته في التعليم والإقراء، ولذا لم يكن لجانب التأليف النصيب الوافر من وقت الشيخ ومع ذلك فله إسهام في خدمة القرآن الكريم من ناحية النظم فمن منظوماته :

- نشر العطر في بيان المد والقصر في أربعمائة بيت .
- نظم كتاب صريح النص في الكلمات المختلف فيها عن حفص .
- مراتب المدات .
- له تحريرات كثيرة في أوجه ورش .
- نظم كتاب تهذيب الألفاظ لابن السكيت في ثلاثة آلاف بيت، ولم يتمه .

إلى غير ذلك من المنظومات في اللغة والرسم يسَّر الله طبعها .

وقد قام ـ حفظه الله ـ بتسجيل القراءات العشر كاملة في إحدى عشرة ختمة مستظهراً جميع الأوجه والاختلافات مع جودة الأداء والإتقان .

ولايزال الشيخ يقوم بما أوقف وقته عليه من الإقراء حيث تلقى عنه القرآن الكريم جم غفير من العلماء وطلبة العلم ومنهم من أخذ عنه العشر .

بارك الله في عمره، وأمدَّ في حياته على طاعته، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

مقدّمة

الحمد لله وحده، وصلى الله وسلم وبارك على سيِّدنا محمدٍ أشرف المرسلين، وعلى آله وصحبه والتابعين إلى يوم الدين، وبعد :

فمن المعلوم بداهةً لدىٰ المطَّلع على علوم الذكر ـ فضلاً عن كلِّ مُتضلِّع فيها ـ أنَّ للقرآنِ الكريم صورتين تُجلِّيان حضورَه في عالَم الشهادة، صورةً خطيَّة وأخرى نُطقيّة، وبمقتضى الأولى تَسمَّى كتاباً وباعتبار الثانية نُعِتَ بالقرآن إشارةً وإرْشَاداً، من خلال التسميتين العَلَمَين إلا أنَّ النّصَّ الكريم ينبغي أن يُحفظ في السُّطور والصُّدور، قال تعالى: ﴿ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٨٢] .

ومن هنا اتجهت عناية علماء الأمة إلى ضبط الصُّورتين معاً على نحوٍ لم يتفق مثلُه أو مقاربه لكتابٍ دِقَّةً وإحْكَامَاً وصَوناً، وهكذا ظهر علماء الرسم والهجاء الناقلين عن المصاحف الأئمة، إلى جانب علماء الأداء، المتصلة أسانيدهم بالحضرة النبوية

الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى السلام، كما وجد في المكتبة القرآنية مثلاً : كتاب التيسير في القراءات إلى جانب المقنع في مرسوم المصاحف، ونظم الدُّرّة بإزاء نظم المورد في رسم القرآن، بل إنَّ علماءَ القراءة اعتبروا موافقة الرسم ولو تقديراً في ثبوت قرآنية النَّص المتلوّ، ونصَّ الإمام الجعبريُّ على أنّ المصاحف الأولى أصولٌ ثوانٍ إمعاناً في الاستيثاق .

وكما صُنِّفت مؤلفاتٌ لتوجيه القراءات المختلفة احتجاجاً لها؛ صُنِّف مثل ذلك في توجيه المرسوم وبيان أسراره على اعتبار أن القلم أحد اللسانين، أضف إلى هذا كلّه أنَّ جملةً من مباحث قرآنية وضعت أساساً لخدمة الرسم في المصحف فيما عُرف بالوقف الاختياري مثل مبحث : الموصول والمقطوع، والهاءات المرسومة تاءاتٍ مبسوطة، والوقف على الهمز تبعاً للرسم، بل إن الإمام ابن البنَّا ألَّف كتاباً هو : عنوان الدليل، نبَّه فيه على أن الرسم فيما خالف فيه قياس الهجاء يُعَدُّ من آيات كمال الكتاب، تصديقاً لقوله تعالى : ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ٦/ ١١٥] .

وليس أبعد عن الصواب وأدخل في المحال من الظنِّ بأنَّ جانباً من جوانب الكتاب المعجز آية الرسالة الخالدة يمكن أن يكون دون مستوى التحدي فضلاً عن أن يُنعت بالقصورِ، حاشا جنابه الأعز

المنيع، ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ﴾ [فصلت : ٤١/ ٤١ ـ ٤٢] .

ومن المؤسف حقاً أن نجد شذوذاً أغمار وأدعياء يحاولون التشكيك في أصالة مرسوم الكتاب وعراقتها وبراءتها من كل خلل أو عِوَجٍ، بل ارتقائها إلى مستوى تمثيل النص المنزَّل رَسْمَاً ودِلالة وما حالهم إلا كما قال القائل :

مـا يَضيـرُ البحـرَ أمسَـى زاخِـرَاً
أنْ رَمَـىٰ فيـه غُـلامٌ بِحَجَـرْ

أو كما قال القائل :

قد تُنكِرُ العينُ ضوءَ الشَّمْسَ مِن رَمَدٍ
ويُنكـرُ الفَـمُ طَعْـمَ المَـاءِ مِـنْ سَقَـمِ

والدعوى هذه في مجملها ـ وإن تعلَّلت بالتيسير زعماً، والتقريب رجماً ـ فهي عاريةٌ عن الدليل، منبئةٌ عن جهلٍ فاضح وجراءة متطفل، لا يفرق بين مجالي التوفيق والتوقيف، والاعتقاد والاجتهاد، وإليك أخي القارىء تمام البيان بما يكشف زيف الدعوىٰ ورحم الله القائل :

والـدَّعَـاوى مـا لـم يُقِيمُـوا عليهـا
بينـــاتٍ أبنـــاؤُهـــا أدْعِيَـــاءُ

وضمن هذه الرسالة تجدون التعريف بمسلك الأئمة الأعلام في الدفاع عن حمى ثوابت الإسلام، والذود عن الدستور الأصل الأعظم ممثّلاً في القرآن رسماً وأداءً وبلاغا، والله الهادي إلى سواء السبيل .

المؤلف

تمهيد[١]

إنَّ ما جاء في رسالة السيد الدكتور محمد سعيد البخاري حول موضوع رسم المصاحف العثمانية؛ والتي مفادها عدم جواز تغيير هذا الرسم بأيِّ رسم، سواءٌ أكان عربيًّا أم أعجميًّا، فأقول : إنَّ ما جاء في مذكرة السيد البخاري هو الحق الذي لا محيدَ عنه، والذي يجب على كل مسلم أن يلتزم به التزامه بما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولا فرق بين كتابة السُّورة والآية والكلمة ما دامت قرآنية .

وما جاء في مذكرة الشيخ البخاري هو ما قال به السَّابقون واللاَّحقون من أئمَّة رسم المصاحف، والفقهاء، والقرَّاء، والمحدِّثين، وغيرهم من الأعلام والعلماء العاملين، والملتزمين بما عمله السلف الصالح من أمة محمد عليه الصلاة والسلام؛ وذلك لأن كتابة المصاحف تمت فى الحقيقة فى عهد النبى صلى الله عليه

---

(١) أصل هذه الرسالة بحث مقدم لجامعة أم القرىٰ (قسم القراءات) نال الشيخ عليها شهادة شكر وتزكية من الجامعة؛ لما احتوت من بحث علمي يفيد القاريء الكريم .

وسلم، وتحت إشرافه ورقابته؛ ولأن كُتَّابَ الوحي قد تجاوز عددهم خمسة عشر رجلاً من خيرة الصحابة، فلو كان هناك مخالفة رسمية على ما أقرَّه النبيُّ صلَّى الله عليه وسلم وارتضاه، لأبدى بعضُ هؤلاء الكُتَّاب ملاحظتهم، ولكنه لم يحصل شيء من ذلك، فكان هذا دليلاً على أن الأمر في الكتابة منوط برسول الله صلى الله عليه وسلم الذي علَّمه الله ما لم يعلم ﴿ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ ۚ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾ ﴾ [النساء : ١١٣/٤] ثم إن هذه الكتابة نفسها أُعيدت في عهد أبي بكر رضي الله عنه؛ بِيَدِ من شارك فيها إخوانه من كُتَّابِ الوحي على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ألا وهو زيد بن ثابت، الذي اعتمده النبي صلى الله عليه وسلم في كتابة الوحي وغيرها من أمور الدين، وهو الرجل الذي اعتمده أبو بكر، وعمر رضي الله عنهما للقيام بهذه المهمة، وهذا دليل ثانٍ على أن كتابة المصاحف التي وافقت الرسم القياسي في أمور وخالفته في أمور ليست من صُنْعِ كُتَّاب الوحي، وإنما هي من الأمور المنوطة برسول الله صلى الله عليه وسلم، ولو كان الأمر غير ذلك ما التزم بها زيد بن ثابت في الكتبة الثانية، ثم إن الصحف التي خطها زيدُ بن ثابت مرة أخرى أُعيدت كتابتها على عهد عثمان بن عفان رضي الله عنه، بِيَد زيدِ بنِ ثابت وبمشاركة عدد من

الصحابة، اختارهم عثمان رضي الله عنه لهذا الشأن، وهم : عبدالله بن الزبير، وسعيد بن العاص، وعبدالرحمن بن الحارث بن هشام، وانضم إليهم عبدالله بن عمر بن الخطاب، وعبدالله بن عباس، وأُبَيُّ بن كعب، وأنس بن مالك، وأبان بن سعيد، وكُثَير بن أَفْلَح مولى أبي أيوب الأنصاري، ومالك بن عامر جد الإمام مالك بن أنس، وقد قام هؤلاء بكتابة هذه الصحف التي خُطت على عهد أبي بكر في مصاحف مشهورة، وَزَّعَها عثمان على الأمصار الإسلامية، وبعث مع كل مصحف قارئاً يُقريء الناس بما في ذلك المصحف، وقد أقر الصحابة رضي الله عنهم هذه الكتابة التي كانت قد كتبت في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وعهد أبي بكر الصديق وعمر بن الخطاب دون أن يُبدي أحد منهم أي ملاحظة عليها، وهذا دليل ثابت، وقد بلغ عدد الصحابة الذين أجمعوا على هذه الكتابة آنذاك، اثني عشر ألفاً، وهذا دليل رابع، ألا وهو إجماعهم على أن كتابة المصاحف التي وافقت الرسم القياسي في أمور وخالفته في أمور ليست من صنع البشر؛ وإنما هي من خصوصيات الكتاب المنزل على سبعة أحرف، كما أخبرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، ولم يقف الأمر عند التزام الصحابة بهذه الكتابة الذين بلغ عددهم ـ كما ذكرنا ـ اثنى عشر ألفاً بل التزم

بذلك ودرج عليه التابعون ومن بعدهم إلى زماننا هذا، فكان ذلك إجماعاً من الأمة المعصومة عن الخطأ، وقد أكد ذلك قرار المجمع الفقهي الإسلامي الصادر بمكة المكرمة بتاريخ ١٢/ ١٠/ ١٤١٩هـ[١]، والذي مفاده : عدم جواز تغيير شيء من رسم المصاحف، وهذا دليل خامس، وبما قرره المجمع الفقهي انقطع شغب المشاغبين، وتشدُّق المتشدِّقين، الذين يحاولون أن يُحدثوا في الدين ما ليس منه متناسين قول النَّبي صلى الله عليه وسلم : « **مَنْ عَمِلَ عَمَلاً ليس عليه أمْرُنا فهو رَدّ** »[٢]، وفي رواية : « **مَنْ أحْدَثَ في أمرِنا ما ليس منه فهو رَدّ** »، ومتجاهلين قولَ النّبي صلى الله عليه وسلم : « **فإنه مَن يَعِشْ منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فَمَنْ أدرك ذلك منكم فعليه بسُنَّتي وسنَّة الخلفاء الراشدين المهديّين من بعدي، عَضُّوا عليها بالنَّواجذ** »[٣]، إن هؤلاء الذين يتشدَّقون ويتجرَّؤن على القول بتغيير الكتابة التي أقرَّها النبيُّ صلى الله عليه وسلم، وكُتَّاب الوحي، وأبو بكر، وعمر، وعثمان بن عفان رضي الله عنهم، وأيضاً اللجنة التي اعتمدت لهذا الشأن والتي أجمع عليها ـ كما ذكرنا ـ اثنا عشر

---

(١) ستأتي فيما بعد بإذن الله صورة القرار، وقرار لجنة الفتوى بالأزهر الشريف .

(٢) رواه الشيخان وأبو داود وابن ماجه عن عائشة رضي الله عنها .

(٣) رواه أبو داود والترمذي وقال حديث حسن صحيح .

ألفاً من الصحابة ومن بعدهم من التابعين إلى زماننا هذا، ما هم إلا أشباه الحداثيين؛ الذين لا همَّ لهم إلا مسخ القديم، وتبديله بجديد يوافق أهواءهم، متجاهلين أن كتابة المصاحف التي أجمع عليها المسلمون هي أشبه ما يكون بعدد ركعات الفريضة في الثبوت، وإقامة الكعبة على أرض الكعبة، والحجر الأسود في ركن البيت، ومثوى النبي صلى الله عليه وسلم في بيت عائشة وعلى أرض المدينة، إلى غير ذلك من أمور لم يتطرق إليها الشك، ولم تقبل التغيير؛ بسبب إجماع الأمة عليها، وهؤلاء أشبه ما يكونون بالقائلين من علماء السوء بكشف وجه المرأة، ومصافحتها، واختلاطها بالرجال، ونزولها إلى ميادين العمل بلا تحفظ وبلا قيد أو شرط، متجاهلين أن كل ذلك من الوسائل الموقعة في الزنا الذي قال الله فيه ناهياً عباده المؤمنين : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٣٢﴾ ﴾ [الإسراء : ١٧/ ٣٢]، إلى غير ذلك من القول بإباحة الرِّبا في زماننا بِحُجَّة أنه لا يُشْبِه الرِّبا الذي كان في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وأقبح من هذا جرأة أُناس على ما جاء في البخاري ومسلم من أحاديث تلقتها الأمةُ بالقبول فعابوا عليها، أو أوَّلوها بما يوافق أهواءهم مخالفين مَنْ سبقهم من علماء هذه الأمة، وقد بلغني أنَّ كاتباً كاذباً يدعى : جواد موسىٰ محمد عفان،

أخرج كتاباً في الأردن بعنوان: الرأي الصواب في الزينة والحجاب، يقول فيه: إن المرأة يندب لها أن تكشف وجهها، وأن تعرف بشخصها واسمها[١]، إلى غير ذلك من طامات آخر الزمان، نعوذ بالله من افتراءآت المفترين وضلالات المضلّين، قال الله تعالى: ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ [النور : ٦٣/٢٤]؛ لهذا ينبغي أن يتنبه العالم الإسلامي ـ وبخاصة الجيل المثقف الذي هو رائد الأمة وطليعتها ـ لخطر هؤلاء الذين نبتوا في المجتمع الإسلامي نبات شوك السَّعدان، ولعب بأهوائهم أصابع الشرق والغرب، فاستحسنوا مبادئهم، وزيَّنَ لهم الشيطان أعمالهم، فليكن جيلنا المثقَّف على حذرٍ من هؤلاء كل الحذر، فإنهم أخطر من الأدواء الفتّاكة بالجسد الضعيف البنية، وليعلم الأخ المسلم الذي مارس كتابة اللغات الأجنبية ـ وبخاصة الإنجليزية ـ أنه لا يعجزه أن يتعلم رسم المصحف، الذي هو تراث أمتنا التي هي خير أمة أُخرجت للناس، تأمر بالمعروف، وتنهى عن المنكر، وتؤمن بالله، وتلتزم بما جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وصحابته، ومن سار على مبادئهم من السلف الصالح، وقد وجَّهَ الدكتور البخاري إلى المحافظة على رسم المصحف العثماني،

---

(١) وذلك في صفحة (٢٠٢) من الكتاب المذكور .

وذلك باستخدام الكُمبيوتر، أو بتصوير ما يحتاج من الآيات ثم وضعها في مكانها من البحث أو الرسالة، فليلجأ إلى هذا الباحثون إن لم يستطيعوا تحصيل علم رسم المصحف .

هذا وإني سأنقل ما جاء في كتاب سمير الطالبين في رسم المصحف المبين لفضيلة الشيخ : علي محمد الضباع، شيخ المقاريء المصرية في عصره وهو أوسع مما جاء في مذكرة الشيخ البخاري، فهو مؤيِّدٌ ومؤكِّدٌ له، وذلك تحت عنوان : (ما يجب على المسلمين إزاء هذه المصاحف) .

ما يَجِبُ على المسلمين
إزاءَ هـذه المَصَاحِـف[١]

على كل مسلمٍ أن يتلقَّى ما كتبته الصحابة بالقبول والتسليم؛ لقوله صلى الله عليه وسلم : « **اقتدوا باللذين من بعدي أبي بكر وعمر** »[٢]، وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال : وعظنا رسول الله صلى الله عليه وسلم موعظةً وجلت منها القلوب، وذرفت منها العيون، فقلنا يا رسول الله !! كأنها وصيةُ مودعٍ فأوصنا، فقال : « **أوصيكم بتقوى الله والعمل والسمع والطاعة، وإن تأمَّر عليكم عبد حبشي، وإنه من يعش منكم فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عَضُّوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل بدعة ضلالة** »[٣].

وفي هذه الأخبار دلالة واضحة على طلب الاقتداء بالصحابة فيما فعلوه، ومما فعلوه مرسوم المصاحف المذكورة، وقد علمت

---

(١) هذا النقل من كتاب سمير الطالبين للشيخ علي محمد الضَّبَّاع شيخ المقارىء المصرية في عصره رحمه الله .
(٢) أخرجه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والطبراني .
(٣) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه وابن حبان في صحيحه، وقال الترمذي « حديث حسن صحيح » .

مما مرَّ اجتماع رأيهم عليها، وكانوا وقتئذٍ، اثنى عشر ألفاً .

وقد أجمع أئمةُ المسلمين على اتباعهم، والإجماع حجة كما تقرر في علم الأصول، فيجب علينا اتباعهم، فإن في مخالفتهم خرقاً للإجماع .

ما يجب على كاتب المصحف :

يجب على من أراد كتابة مصحف أن يكتبه على مقتضى الرسم العثماني؛ لأن في كتابته على مقتضى الرسم القياسي مخالفة للأحاديث الواردة في طلب الاقتداء بالصحابة، وخرقاً لإجماع الصحابة، وجميع الأمة، قال أشهب : سئل مالكٌ فقيل له : أرأيت مَن استكتب مصحفاً اليوم، أترى أن يكتب على ما أحدث الناس من الهجاء اليوم ؟ قال : لا أرى ذلك، ولكنه يكتب على الكتْبة الأولى (كتبة الوحي) رواه الداني في المقنع، وقال : ولا مخالف له (يعني مالكاً) في ذلك من علماء الأمة .

وفيه أيضاً : عن عبدالله بن عبدالحكم قال : سُئِل مالكٌ عن الحروف تكون في القرآن مثل الواو والألف أترى أن تغير من المصحف إذا وجدت فيه كذلك ؟ قال : لا، قال أبو عمرو : يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم المعدومتين في اللفظ نحو : أولوا . اهـ

وقال الإمام أحمد : تحرم مخالفة خط المصحف في واوٍ أو ياءٍ أو ألف أو غير ذلك . ا هـ

وقال البيهقي في شعب الإيمان : من يكتب مصحفاً فينبغى أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً، وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم . ا هـ

ونقل الجعبري وغيره إجماع الأئمة الأربعة على وجوب اتِّباع مرسوم المصحف العثماني . ا هـ

وقال الأستاذ عبدالرحمن القاضي المغربي بعد ذكره النقول المذكورة، ولا يجوز غير ذلك، ولا يلتفت إلى اعتلال من خالف، بقوله : إن العامة لا تعرف مرسوم المصحف، ويدخل عليهم الخلل في قراءتهم في المصحف إذا كتب على المرسوم (أي العثماني) إلى آخر ما عللوا به، فهذا ليس بشيء؛ لأن من لا يعرف المرسوم من الأمة يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف حتى يتعلم القراءة على وجهها، ويتعلم مرسوم المصحف، فإن فعل غير ذلك فقد خالف ما اجتمعت عليه الأمة، وحكمه معلوم في الشرع الشريف، ومن علل بشيء فهو مردود عليه؛ لمخالفته للإجماع

المتقدم، وقد تعدت هذه المفسدة إلى خلق كثير من الناس في هذا الزمان، فليحتفظ في ذلك بحق نفسه وحق غيره . اهـ

وقال صاحب فتح الرحمن بعد ذكره النقول المذكورة أيضاً : فما كتبوه في المصاحف بغير ألف، وما كتبوه بألف كذلك، وما كتبوه متصلاً، فواجب أن يكتب بالتاء، وما كتبوه بالهاء فواجب أن يكتب بالهاء، ومن خالف في شيء من ذلك فقد أثم . اهـ

وقال الإمام ابن الحاج في المدخل : ويتعين عليه (كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان، وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه الأمة على ما وجد به من خط عثمان بن عفان رضي الله عنه .

قال الإمام مالك : القرآن يُكتب بالكتاب الأول . اهـ

وفي شرح الطحاوي : ينبغي لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان رضي الله عنه؛ لإجماع الأمة على ذلك . اهـ

وقال القاضي عياض في آخر كتاب الشفاء : وقد أجمع المسلمون على أن القرآن المتلو في جميع أقطار الأرض، المكتوب في المصحف بأيدي المسلمين، مما جمعته الدفتان من أول ـ

الحمد لله رب العالمين، إلى آخر ـ قل أعوذ برب الناس، أنه كلام الله، ووحيه المنزل على نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، وأن جميع ما فيه حق، وأن من نقص حرفاً قاصداً لذلك أو بدله بحرف آخر مكانه، أو زاد حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وأجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر . اهـ

وأيده شراحه، ومنهم الإمامان: المُلاّ علي القاري، والشهاب الخفاجي (كلاهما من كبار الحنفية) وقالا بعد قوله : (أو زاد حرفاً) أي كتابة أو قراءة . اهـ

ففي كل هذه النقول دلالة جلية على وجوب اتِّباع الصحابة فيما فعلوه من رسم المصحف الشريف، وكما لا تجوز مخالفة خط المصحف في القرآن، لا يجوز لأحد أن يطعن في شيء مما رسموه فيها؛ لأنه طعن في مُجمع عليه؛ ولأن الطعن في الكتابة كالطعن في التلاوة .

وقد بلغ الإفراط ببعض المؤرخين إلى أن قال في مرسوم الصحابة ما لا يليق بعظيم علمهم الراسخ، وشريف مقامهم الباذخ، فإياك أن تغترَّ به، ولا الالتفات إلى ما ذكره بعض المتأخرين من أن

ما ذكر من وجوب اتباع رسم المصحف العثماني إنما كان من الصدر الأول والعلم غض حي، وأما الآن فقد يخشى الالتباس . اهـ

ولا إلى قول شيخ الإسلام العز بن عبدالسلام، لا تجوز كتابة المصحف الآن على المرسوم الأول باصطلاح الأئمة؛ لئلا يوقع في تغيير من الجهال . اهـ (ذكره في الإتحاف نقلاً عن اللطائف) .

لأن هذا كما لا يخفى يؤدي إلى درس العلم، ولا ينبغي أن يترك شيئاً قد أحكمه السلف، مراعاة لجهل الجاهلين، لا سيما أنه أحد الأركان التي عليها مدار القراءات، فضلاً عما يؤدي إليه من ضياع القراءات المتواترة بضياع أحد أركان القرآن، ومن تَطَرُّقِ التحريف إلى الكتاب الشريف، بتغيير رسمهِ، ومن جوازِ هدمِ كثيرٍ من العلومِ قياساً على هدمهِ بدعوىٰ سهولةِ التَّناول للعموم، على أن بقاء المصحف على رسمه العثماني يدل على فوائد كثيرة وأسرار شتى منها :

١ ـ الدلالة على الأصل في الشكل، والحروف ككتابة الحركات حروفاً باعتبار أصلها، في نحو ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ و ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾ وككتابة (الصلوة والزكوة والحيوة) بالواو بدل الألف .

٢ ـ النص على بعض اللغات الفصيحة ككتابة هاء التأنيث بتاء مجرورة على لغة طيء، وكحذف ياء المضارع لغير جازم في ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ [هود : ١١/ ١٠٥] على لغة هذيل .

٣ ـ إفادة المعاني المختلفة في القطع والوصل في بعض الكلمات نحو ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ و﴿ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا ﴾ فإن قطع (أم) عن (من) يفيد في معنى (بل) دون وصلها بها .

٤ ـ أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد، نحو ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ ﴾ و ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ﴾ [الأنعام : ٦/ ١١٥] فلو كتبت الأولى ﴿ وما يخادعون ﴾ لفاتت قراءة يخدعون، ولو كتبت الثانية بألف على قراءة الجمع لفاتت قراءة الإفراد، ورسمت التاء مجرورة، لإفادة ما ذكر .

٥ ـ عدم تجهيل الناس بأوليتهم، وكيفية ابتداء كتابتهم، وهذا كله إن قلنا إن مرسوم المصاحف اصطلاح من الصحابة، أما إن قلنا إنه من إملاء النبي صلى الله عليه وسلم على كتبة الوحي من تلقين جبريل عليه السلام، وهو الأصح كما نقله كثير من العلماء، فالطعن فيه طاعن فيما هو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم ويشهد لكونه من إملائه صلى الله عليه وسلم ما ذكره صاحب

الإبريز عن شيخه عبدالعزيز الدباغ أنه قال : رسم القرآن سر من أسرار المشاهدة وكمال الرفعة، وهو صادر من النبي صلى الله عليه وسلم، وليس للصحابة ولا لغيرهم في رسم القرآن ولا شعرة واحدة، وإنما هو بتوقيف من النبي صلى الله عليه وسلم وهو الذي أمرهم أن يكتبوه على الهيئة المعروفة، بزيادة الألف ونقصانها ونحو ذلك؛ لأسرار لا تهتدي إليها العقول إلا بفتح رباني، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز دون سائر الكتب السماوية، فكما أن نظم القرآن معجز فرسمه معجز أيضاً . اهـ باختصار .

ويشهد له أيضاً إطباق القراء على إثبات الياء في كلمة ﴿ واخشوني ﴾ في موضع البقرة، وحذفها في موضعي المائدة ونحو ذلك، ويشهد له أيضاً قوله تعالى ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [الحجر : ٩/١٥] فقد أخبر سبحانه وتعالى أنَّه تكفل بحفظ كتابه، وتواترت قراءة ﴿ رحمت ﴾ و ﴿ نعمت ﴾ و ﴿ سنت ﴾ وأخواتها المشهورة (بالتاء عند الوقف) وقراءة ﴿ وسوف يؤت ﴾ في سورة النساء، بسكون التاء وحذف الياء بغير جازم، كذلك قراءة ﴿ يدع ﴾ في سورة الإسراء و ﴿ يمح ﴾ في سورة الشورى، و ﴿ سندع ﴾ في سورة العلق بحذف الواو في

الأفعال الثلاثة بغير جازم، كذلك أيضاً خلافاً للقياس العربي المشهور في ذلك كله، فلو لم يكن الرسم العثماني توقيفاً علَّمه جبريل عليه السلام للنبي صلى الله عليه وسلم لكان خبره تعالى كاذباً، وهو محال، أي لو كان الرسم العثماني غير توقيفي بأن كتبه الصحابة على ما تيسر لهم كما زعمه البعض لزم أن يكون سبحانه وتعالى أنزل هذه الكلمات رحمة وأخواتها بالهاء، وسوف يؤت بالياء، ويدع وأختيها بالواو، ثم كتبها الصحابة؛ لجهلهم بالخط يومئذ بالتاء وبحذف الياء والواو، ثم تبعتهم الأمة خطأ، ثلاثة عشر قرناً ونصفاً، فتكون الأمة من عهده صلى الله عليه وسلم إلى اليوم مجمعة على إبدال حروف بأخرى في كلامه ليست منزلة من عنده، وعلى حذف حروف عديدة منه، وإذا كان ذلك كذلك كان خبره تعالى كاذباً، وكذب خبره تعالى باطل، فبطل ما أدى إليه، وهو كون رسم هذه الكلمات ونظائرها بلا توقيف نبوي، وإذا بطل هذا ثبت نقيضه، وهو كون الرسم العثماني توقيفاً، وهو المطلوب .

ويشهد له أيضاً أن كَتَبَةَ الوَحي كتبوه بين يديه صلى الله عليه وسلم، فإن كانوا كتبوه على تيسير لهم فقد قرر عملهم النبي صلى الله عليه وسلم، وتقريره صلى الله عليه وسلم حجة شرعية كقوله وفعله، وقد ثبت أنه صلى الله عليه وسلم كان يُرشد كتبة الوحي

إلى رسم الحروف والكلمات، وفي ذلك قول النبي صلى الله عليه وسلم لمعاوية رضي الله عنه : « **ألق الدواة وحرف الكلم وانصب الباء وفرق السين ولا تعور الميم وحسن الله ومد الرحمن وجود الرحيم وضع قلمك على أذنك اليسرى فإنه أذكر لك** » .

ويشهد له أيضاً ما ورد عن مالك رضي الله عنه من قوله : (إنما ألف القرآن على ما كانوا يسمعونه من قراءة النبي صلى الله عليه وسلم) . اهـ

وعن علي رضي الله عنه أنه قال : (لو وُلِّيتُ لفعلت في المصاحف ما فعل عثمان) وغير ذلك .

وإذا أقرَّ النبيُّ صلى الله عليه وسلم على أمر لا سيما إذا كان لا يسد غيره مسده صيَّره لازماً واجباً، ولم يوجد رسم يوفي توفية هذا الرسم لتيسيره جميع القراءات، ويجب على كاتب المصحف أيضاً أن يعرف الخلافيات المغتفرة وغيرها والخلافيات المغتفرة هي : الكلمات التي تكون ذات رسمين، أحدهما يأتي معه النطق بما ورد فيها من القراءات، مثل (الريح) فإنها رسمت بألف بعد ياء وبدون، وعلى حذف الألف يأتي النطق بما ورد فيها من القراءة بحذف الألف وإثباتها، وغير المغتفرة هي الكلمات التي تكون ذات

رسميـن كـل منهـا لقـراءة مثـل : (قـالـوا) فـي قـولـه تعـالـى ﴿ وَقَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ﴾ [البقرة : ٢/١١٦] فإنها رسمت بدون واو قبل القاف في مصحف الشام، وبواو في غيره، فيتعين على الكاتب أن يرسم لكل قاريء بما يوافق قراءته من الخلافيات غير المغتفرة، ويجوز له أن يرسم للقارىء بما يوافق قراءته من الخلافيات المغتفرة إذا كان رسمها يحمل وجهه، وهذا كله فيما يتعلق بالصورة الرسمية .

وأما النطق والشكل وما في حكمه من علامات الفواصل والسجدات والأجزاء والأحزاب وأقسامها والخموس والعشور والمواقف والفواتح والخواتم، فقد اختلف العلماء فيها على ثلاثة أقوال :

١ ـ الجواز مطلقاً .

٢ ـ الكراهة مطلقاً .

٣ ـ الجواز في المصاحف التي يتعلم فيها الغلمان ومن في حكمهم دون المصاحف الأمهات، وقد نسب الإمام الداني في المحكم هذه الأقوال إلى أربابها، والعمل في وقتنا هذا على الترخص في ذلك دفعاً للالتباس ومنعاً للتحريف والخطأ في كلام رب العالمين .

الإجابة على سؤال ورد من الهند حول كتابة المصاحف

وقد ورد سؤال من الهند على المدرسة الصولتية بمكة المكرمة حول موضوع الرسم، وقد تولى الإجابة عليه بتكليف من مدير المدرسة الآنفة الذكر الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي :

أخبرونا ما هو الرسم القرآني، وهل هو توقيفيٌّ واجب الاتباع عند السادة الحنفية، وهل يستفاد من وجوبه من كتاب الله أو سنة رسوله صلى الله عليه وسلم أو الإجماع أو القياس المعتبر ؟

فأجاب رحمه الله تعالى بما يأتي كما هو مسطور في كتاب (إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع المصحف الإمام) المطبوع بتاريخ (١٣٤٥ هـ ـ ١٩٢٦ م) وها أنا ذا أنقل الجواب باختصار لتأكيد ما كتبه الشيخ علي محمد الضبَّاع والشيخ سعيد البخاري : (اعلم أن رسم القرآن سنة متبعة باتفاق الأئمة الأربعة، بل بإجماع سائر المجتهدين لا خلاف فيه بين أبي حنيفة وغيره من الأئمة الثلاثة ولا غيرهم من أئمة الاجتهاد، وهو أمر إجماعي كما طفحت به الدفاتر حتى صار من المتواتر، وإن خفي ذلك على بعض أبناء الزمان في

البلاد المشرقية؛ لعدم اعتنائهم غالباً بتدريس علوم رسم القرآن، وإن اعتنوا بتدريس تجويده حتى حصل التساهل في طبع المصاحف، وهي مخالفة في كثير من الرسم لمرسوم المصحف العثماني، الذي يجب اتباعه إجماعاً في هذه العجالة المحررة بعون الله وقوته، فأشير إلى تحرير ذلك باختصار؛ لطلبكم إياه مع عدم الإخلال، فأقول وبالله التوفيق والإخلاص والإعانة :

اعلم أن رسم القرآن الشريف سنة واجبة الاتباع؛ لكونه أمراً توقيفياً؛ لأنه كتب كله في عهد النبي صلى الله عليه وسلم لكنه غير مجموع في مصحف مرتب فيه على الصحيح، كما في (رشف اللمىٰ على كشف العَمَىٰ) وغيره، وكُتبَ بأمره صلى الله عليه وسلم على المشهور وكان يُكتب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على الأكتاف ـ جمع كتف ـ وقطع الجلود واللِّخاف ـ بكسر اللام مشددة وجمع لَخفة بفتحها ـ ومعلوم من فن الأصول أن كل ما فُعِلَ بحضرته صلى الله عليه وسلم وإقراره سنة واجبة الاتباع؛ لأن سنته قول أو فعل أو إقرار كما تقرر في محله، وقد اجتمع في رسم القرآن القول والإقرار أي التقرير، فالشأن فيه كله التوقيف كترتيبه الآن في المصحف، فهو بإشارة منه عليه الصلاة والسلام، فكان جبريل عليه السلام يوقف النبي صلى الله عليه وسلم على مواضع

الآيات ويقول له : (ضع آية كذا في موضع كذا) ـ نقله السيوطي وغيره ـ ولذلك قال مالك : إنما ألفوا القرآن على ما كانوا يسمعونه من النبي صلى الله عليه وسلم) . اهـ

وإنما لم يجمع في مصحف واحد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم لعلتين :

إحداهما : كون الجمع الغرض منه الحفظ خوف النسيان أو خوف النزاع حين الشك في لفظ آية، وكلا الأمرين مأمون؛ لوجود النبي صلى الله عليه وسلم .

العلة الثانية : هي خوف النسخ بوحي يطرأ نزوله، فلا ينبغي أن يجمع إلا ما لا ينسخ؛ كما حصل (في) جمعه بعد وفاته صلى الله عليه وسلم، ومقابل هذا القول ما أخرجه الحاكم في المستدرك جمع القرآن ثلاث مرات : إحداها بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا الجمع هو الذي يحمل على ما وقع من كَتْبِه على الأكتاف واللخاف والرقاع والجلود، فهو غير الجمع المطلوب في مصحف واحد، لكن محل الاستدلال بسنية كتابته، وكونها توقيفية حاصل من مجرد كتبه كله في عهد الرسول صلى الله عليه وسلم، ولو غير مجموع ومُرتَّب في مجلد مسمى بالمصحف كما هو عليه

الآن، فحاصل جواب قول السائل هو أن رسم القرآن الكريم سنة، يجب اتباعها شرعاً كتاباً وسنة وإجماعاً، كما هو مروي عن الأئمة الأربعة أبي حنيفة ومالك والشافعي وأحمد، وكذا غيرهم، وقال الجعبري : ما نقله أبو عمرو هو مذهب الأئمة الأربعة نقله أحمد بن المبارك كما في (رشف اللمى على كشف العمى) ونحوه للسيوطي في الإتقان، ولفظه بعد أن صرح بمخالفة خط المصحف الإمام في بعض الحروف لأصول النحاة وقواعدهم التي مهدوها للخط العربي في النوع السادس والسبعين منه .

قال أشهب : سئل مالك : هل يكتب المصحف على ما أحدثه الناس من الهجاء ؟ فقال : لا، إلا على الكتابة الأولى . رواه الداني[1] في المقنع .

ثم قال : ولا مخالف له من علماء الأمة .

وقال البيهقي في شعب الإيمان : من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف؛ ولا يخالفهم

---

(١) هو الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني، قارىء كبير وإمام جليل، له مؤلفات عديدة منها (المقنع في الرسم) وله كتب في الوقف والابتدا وغيرها قال عن نفسه : ما قرأت شيئاً إلا كتبته ولا كتبته إلا حفظته توفي سنة (٤٤٤ هـ) .

فيه، ولا يغير مما كتبوه شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً وأعظم أمانة مِنَّا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم . ا هـ بلفظه .

وفي عمدة البيان للخرازي ما نصه :

فَـوَاجِـبٌ عَلَـى ذَوِي الأَذْهَـانِ
أن يَتْبَعُـوا المَـرْسُـومَ فِـي القُـرْآنِ
ويَقْتَـدُوا بِمَـن رَآهُ نَظَـرَا
إِذْ جَعَلُـوهُ لِـلإِمَـامِ وِزرا
وَكَيْـفَ لا يَصِـحُّ الِقْتِـدَاءُ
بِمَـا أَتَـى نَصَّـاً بِـهِ الشِّفَـاءُ
رَوَى عِيَـاضٌ أَنَّـه مَـن غَيَّـرا
حَـرْفَـاً مِـنَ القُـرْآنِ عَمْـدَاً كَفَـرَا
زِيَـادَة أَو نَقْصَـاً أو إِنْ بَـدَّلا
شَيْئَـاً مِـنَ الـرَّسْـمِ الـذيْ تَـأَصَّـلا

وقال محمد العاقب بن ما يابي في تأليفه العجيب المسمى : كشف العمى، ما نصه :

رَسْـمُ الكِتَـابِ سُنَّـةٌ مُتَّبَعَـهْ
كَمَـا نَحَـا أَهْـلُ المَنَـاحِـي الأَرْبَعَـهْ

لأَنَّـــهُ إِمَـــا بِـــأَمْـــرِ المُصْطَفَـــى
أَوْ بـاجْتِمَـاعِ الـرَّاشِـدِيْـنَ الخُلَفَـا
وَكُـــلُّ مَـــنْ بَـــدَّلَ مِنْـــهُ حَـــرْفَـا
بَـــاءَ بِكُفْـــرٍ أَوْ عَلَيْـــهِ أَشْفَـــى

فقد ثبت بما تقدمت الإشارة إليه من نصوص الأئمة أنه توقيفي كتاباً وسنة وإجماعاً، ودليل ذلك من السنة المطهرة، أمره صلى الله عليه وسلم بكتابته، ودليله من الكتاب قوله تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ ﴾ [الحشر : ٧/٥٩] الآية، وقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ [العلق : ٤/٩٦ ـ ٥] قال في الإتقان، قال ابن فارس، الذي نقوله أن الخط توقيفي؛ لقوله تعالى : ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ ٱلْإِنسَـٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ ﴾ وقوله تعالى : ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [القلم : ١/٦٨] وأن هذه الحروف داخلة في الأسماء التي علم الله آدم . ا هـ منه .

ودليل الإجماع نصوص الأئمة التي طفحت بذلك، فإن قيل : لم يصح حديث بالأمر به، فالجواب أن تقرير الصحابة على كتْبِه على تلك الهيئات المعلومة في رسم الصحابة كافٍ بلا ريب لأن تقريره صلى الله عليه وسلم سنةٌ متبعة؛ أي يصير الأمر الذي قرر عليه سنة متبعة لا تجوز مخالفتها، وهو أي القرآن قد كتب في زمنه

صلى الله عليه وسلم بلا خلاف، وإنما الخلاف، هل كان مجموعاً أم لا ؟ وإذا أقر النبي صلى الله عليه وسلم على أمر ـ لا سيما إن كان ذلك الأمر لا يسد غيره مسده ـ صيَّره لازماً واجباً، ولم يوجد رسم يوفي توفيته لتيسره لجميع القراءات، وحمله الأسرار العجيبات، وإن قدَّرنا أنه باجتهاد من الصحابة فلا يخلو إما أن يكون على الهيئة التي كتب فيها في زمن النبي صلى الله عليه وسلم أم لا، فإن كان عيَّنها بطل الاصطلاح، أي بطل القول بدعوى الاصطلاح، فهو كمن يقول بالاصطلاح على الصلوات وعدد الركعات، وإلا فيكون الأمر أن الصحابة رضوان الله عليهم قد خالفوا، فيتطرق الشك إلى باقي ما بين الدفتين، وهذا شيء لا يصح، وكل ما يؤدي إليه لا يقوله مسلم صحيح الاعتقاد فيما ثبت بالتواتر عنه صلى الله عليه وسلم، وفيما ثبت من عدالة أصحابه رضوان الله عليهم . اهـ

فإذا تمهد ما قلنا فاعلم أن : المراد بخط المصاحف هو الخط الذي أجمع الصحابة عليه كما ذكره ابن الجزري[1] في النشر وكذا

---

(١) هو محمد بن محمد بن محمد بن علي بن يوسف الشهير بابن الجزري، إمام المحققين وشيخ المقرئين، صاحب المؤلفات الكثيرة والمنظومات الشهيرة منها (طيبة النشر في القراءات العشر) و (كتاب النشر) و (تقريب النشر) =

غيره، لا ما طبع في المطابع الاستانبولية أو غيرها، بل أكثرها مخالف لرسم المصاحف العثمانية، لا سيما في حذف الألفات المتوسطة مثلاً ونحوها، فلا تكاد تجد ألفاً محذوفاً فيها نحو : (العلمين)، (مسلمت)، وشبهها مع تصريح أهل القرآن كافة بحذفهما، ونحوهما بما هو مفصل في الفن فلا نطيل به في هذه العجالة، ومحصل ما لابن الجزري في النشر وغيره أن الخط على قسمين، قياسي واصطلاحي، **فالقياسي** : ما طابق فيه الخطُ اللفظَ، **والاصطلاحي** : ما خالفه بزيادة أو حذف أو بدل أو وصلٍ أو فصلٍ، وله قوانين وأصول يحتاج إلى معرفتها، وأكثر خط المصاحف موافق لخط القوانين ولكنه قد جاءت أشياء خارجة عن ذلك يلزم اتباعها، ولا يتعدى إلى ما سواها فمنها ما عرفنا سببه ومنها ما غاب عنا، وقد صَنَّفَ العلماء فيه كتباً كثيرة قديماً وحديثاً كأبي حاتم ونصير وأبي بكر بن أبي داود، وأبي بكر بن مهران وأبي عمرو الداني . اهـ المراد منه ملخصاً .

وقال السيوطي في الإتقان ـ حسب ما أشرنا إليه سابقاً ـ ما

= و (والدرة المضية في القراءات الثلاث المروية) و (غاية النهاية) و (المقدمة فيما على قارىء القرآن أن يعلمه) وغيرها الكثير من المؤلفات، توفي سنة (٨٣٣ هـ) رحمه الله تعالى .

نصه القاعدة العربية أن اللفظ يكتب بحروف هجائه مع مراعاة الابتداء والوقف عليه، وقد مَهَّد النحاة له أصولاً وقواعد، وقد خالفها في بعض الحروف المصحف الإمام . اهـ بلفظه .

وقال السيوطي أيضاً في إتمام الدراية شرح النقاية : ولا يقاس خط المصحف؛ لأنه يتبع فيه ما وجد في المصحف الإمام، قال : وقد عقدت له في التحبير باباً حررته فيه وهذبته بما لم أسبق إليه، ثم جردته في كراسة سميتها : كُتُب الأقران في كَتْبِ القرآن .

وقال أيضاً في آخر ألفيته في النحو ما نصه :

وَفِـيْ لَـدى الخُلْـفِ حَكَـاهُ النَّـاسُ
وَالخَـطُّ فِـي المُصْحَـفِ لا يُقَـاسُ
وَمِثْـــلُ هَـــذَا أَحْـــرُفُ القَصِيْـــدَه
هَـــذَا تَمَـــامُ نَظْمِـــيَ الفَـــرِيْـــدَه

وما نسبناه للسيوطي في مصنفاته، مثله لغير واحد من أجلاء الأقدمين والمتأخرين، وإنما اخترت غالباً نقل كلام السيوطي في إتقانه وغيره لإتقانه ونبوغه لا سيما فى هذا الفن على كافة أقرانه .

وممن نَصَّ على وجوب أتباع المصاحف التي كتبت الصحابة رضوان الله عليهم إجماعاً، السيد عبدالرحمن بن القاضي في كتابه المسمى : بيان الخلاف والتشهير، ولفظه : اعلم رحمنا الله وإياك

أن متابعة مرسوم الإمام أمر واجب محتوم على الأنام، كما نص عليه الأئمة الأعلام، فمن حاد عنه فقد خالف الإجماع، ومن خالفه فحكمه معلوم في الشرع الشريف بلا نزاع .

وقال في جامع المعيار يعني الونشريسي المالكي : والكتابة عبارة عن الرسوم المخطوطة التي وضعها الصحابة رضي الله عنهم في مصحف الإمام المجمع عليه .

والمكتوب : كلام الله القديم المدلول عليه بصورة الرسوم المجمع عليها وهي محدثة؛ ولما كانت كذلك توفرت الدواعي إلى نقلها فنقلها الناس تواتراً لقراءتهم وكتابتهم، ولا يجوز لهم أن يقرؤوا قراءة تخالف صورة الخط، ولا أن يكتبوا كتابة مخالفة الرسوم التي وضعها الصحابة رضي الله عنهم في المصاحف عليها، فالمكتوب متواتر بتواتر نقلٍ دليله التحدي . اهـ منه بحروف .

قال : وقال الشيخ اللبيب في شرح العقيلة : قد اجتمع على كَتْبِ المصاحف في حين كتبت اثنا عشر ألفاً من الصحابة رضي الله عنهم، ونحن مأجورون على اتباعهم مؤثمون على مخالفتهم، فينبغي لكل مسلم عاقل أن يقتدي بهم وبفعلهم، فما كتبوه بغير ألف فواجب أن يكتب بغير ألف، وما كتبوه متصلاً فواجب أن يكتب متصلاً، وما كتبوه منفصلاً فواجب أن يكتب منفصلاً، وما

كتبوه من هاء التأنيث فواجب أن يكتب بالهاء . اهـ منه بلفظه قبل ترجمة الأعراف .

وقال في العقيلة : قال مالك رحمه الله : الكتابة تكتب بالكتاب الأول .

قال الجعبري : هذا مذهب الأئمة الأربعة رضي الله عنهم، ومعنى الكتاب الأول، وضعها ـ أي الكتابة ـ على مصطلح الرسم من البدل والزيادة والنقص .

وقال اللبيب : سُئل مالك ـ رحمه الله تعالى ورضي عنه ـ عن الحروف تكون في القرآن زائدة مثل الواو والألف والياء في قوله تعالى : ﴿ الربوة ـ أولئك ـ أو لاأذبحنه ـ وبأييد ﴾ وما شابه ذلك، أترى أن تغير من المصاحف إذا وجدت فيها كذلك ؟ قال : لا، قاله الداني، وقد تقدم نحو هذا أيضاً، وقال القاضي عياض في آخر كتاب الشفا : أجمع المسلمون أن من نقص حرفاً قاصداً لذلك أو بَدّله بحرف آخر مكانه، أو زاد فيه حرفاً مما لم يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، أو أجمع على أنه ليس من القرآن عامداً لكل هذا أنه كافر . اهـ

وقول القاضي عياض، أو بدله بحرف آخر مكانه، يصدق ـ كما صرح به المحققون ـ على ما إذا كانت الكلمة محذوفة في

المصحف وأثبتها الناسخ؛ لأن الحذف والإثبات متباينان كما هو واضح بالتأمل لكل منصف، وقد تقدم عن عياض نحو هذا منظوماً في عمدة البيان كما قد مضى، وصرح صاحب كتاب الفوائد المهمة بإجماع أئمة القراء وأهل الأداء على لزوم متابعة مرسوم الخط، قال : وقد قالوا إن خط المصاحف سنة متبعة لا يجوز لأحد أن يخالفه في الحذف والإثبات والزيادة والنقصان والقطع والوصل والإبدال والتجريد عن النقط والحركات أي في أصل المصاحف الكاملة، وإنما رخص بعضهم في النقط والحركات والسكون للأعاجم ومن في معناهم؛ للضرورة وشدة الحاجة إلى ذلك، لأنهم لا يهتدون إلى القراءة بدونها، ولم يُجَوِّزْ أحد من الأئمة التصرف في الحروف بالزيادة والنقصان والتغيير؛ لأن ذلك أوفق لصيانة القرآن وحراسته عن التحريف وألصق بثبوت أحكام الدين بكونه محفوظ النظم والمعنى مصون الرسم والمبنى .

وفي شرح الطحاوي : ينبغي لمن أراد كتابة القرآن أن يكتبه بأحسن خط وينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان رضي الله عنه . اهـ

وقال الخرازي في كتاب مورد الظمآن مصرحاً بوجوب اتباع الصحابة في مرسوم المصحف ما نصه :

ومـــالـــكٌ حـــضَّ علـــى الإتْبَـــاعِ
لِفِعْلِهـــــمْ وَتَـــــرْكِ البِتِـــــدَاعِ
إِذْ مَنَـعَ السَّـائِـلَ مِـن أَن يُحْـدِثَـا
فِـي الأُمَّهَـاتِ نَقْـط مَـا قَـد أَحْـدَثَـا
وَإِنَّمَـــــا نُـــــرِيْـــــهِ لِلصِّبْيَـــــانِ
فِـــي الصُّحْـــفِ وَالأَلْـــوَاحِ لِلْبَيَـــانِ
وَوَضَـــعَ النـــاسُ عَلَيْـــه كُتُبَـــا
كُـــل يُبيْـــنُ عَنْـــهُ كَيْـــفَ كُتِبَـــا
أَجَلُّهَـــا فَـــاعْلَـــمْ كِتَـــابُ المُقْنِـــعِ
فَقَـــدْ أَتَـــى فِيْـــهِ بِنَـــصٍّ مُقْنِـــعِ

واعلم أن السلامة في الدين منوطة باتباع السلف الصالح، ولا سيما في كتاب الله وما يتعلق به، وممن نص على وجوب اتباع رسم المصحف العثماني المحقق المالكي السيد عبدالواحد عاشر في شرحه لنظم الخراز :

فَيَنْبَغِـــي لأَجْـــلِ ذَا أَنْ نَقْتَفِـــي
مَـرْسُـوْمَ مَـا أَصَّلَـه فِـي المُصْحَـفِ

ووجه وجوبه ما تقدم من إجماع الصحابة رضوان الله عليهم،

وهم زهاء اثني عشر ألفاً، والإجماع حجة حسبما تقرر في أصول الفقه .

قال أبو محمد مكي في الإبانة : وسقطت القراءات التي تخالف خط المصحف فكأنها منسوخة بالإجماع . اهـ

تنبيه : مما ينبغي التنبيه عليه أن من لا يعرف مرسوم المصحف العثماني لا يجوز جعله معلماً للقرآن في المكتب ولا غيره إذا ما وجد معلم يحسن معرفة رسم القرآن، وإلا جاز ارتكاباً لأخف الضررين، فقد صرح بذلك سيدي عبدالله بن الحاج إبراهيم العلوي الشنقيطي المالكي في فتاويه المحررة، وإلى مضمن هذا المعنى أشار الشيخ محمد العاقب في نظم هذه الفتاوى بقوله :

وَغَيْـرُ مُحْسِـنٍ لِـرَسْـمِ المُصْحَـفِ
بِمَنْصِـبِ التَّعْلِيْـمِ غَيـرُ مُتْحَـفِ
وَحَيثُ لا يوجَدُ مَنْ يحسِنُ خَف
تَعليـمَ غَيـرِهِ ارْتِكَـابَـاْ لِـلأَخَـفْ
وَكَـاتِـبٌ خِـلافَ أَصْـلِ الـرَّسْـمِ
لَيْـسَ بِمُـرْتَـدٍّ وَلا بِـآثِـمِ

بعد هذا صار الواجب علينا حينئذ تقليد فن القرآن وخصوصاً

علماء الرسم منهم والرجوع إلى دواوينهم العظام في ذلك، كالمقنع للحافظ الداني والعقيلة للشاطبي، ونحوهما وترجيح ما رجحوه، وأعنى بالأئمة نحو الحافظ أبى عمرو الدانى وأبى محمد المكى، وأضرابهما من المتقدمين، وكالحافظ ابن الجزري والشاطبي والخراز وشروح نظمه، وسيدي عبدالرحمن بن القاضي من المتأخرين .

ما كتبه الدكتور عبدالفتاح شلبي في مقدمة كتابه : رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات

كتب الدكتور عبدالفتاح شلبي في مقدمة كتابه : رسم المصحف والاحتجاج به، ما نصه[١]: ومنع عثمان رضي الله عنه القراءة بما يخالف خط المصاحف التي كتبت في عهده، وساعده على ذلك زهاء اثني عشر ألفاً من الصحابة والتابعين، واتبعه على ذلك جماعة من المسلمين بعده، وصارت القراءة عند جميع العلماء بما يخالفه بدعة وخطأ، وإن صحت ورويت[٢]، هذا الرسم الذي أجمعت عليه الأمة وتلقته بالقبول بترتيب آياته، بل كلماته، بل حروفه، ليس لنا إلى إنكاره من سبيل، وأصبح مصحف عثمان الإمام والدليل فيما يعنيه من ترتيب يمنع التقديم والتأخير، ومن حصر يمنع الزيادة والنقصان، وإبدال لفظ بلفظ آخر[٣]، وهو حجة

---

(١) رسم المصحف والإحتجاج به في القراءات، ص ١٠، مكتبة نهضة مصر بالفجالة، ١٣٨٠ هـ ـ ١٩٦٠ م .

(٢) الإبانة لمكي بن أبي طالب .

(٣) التبيان لبعض المباحث المتعلقة بالقرآن : ٨٦ .

على القارئين والمقرئين إلى يوم الدين، وأصبحت القراءة بما يخالف الرسم وإن وافق العربية وصح سنده ـ كالذي جاء في مصاحف الصحابة والتابعين ـ شاذة لكونها شذَّت عن رسم المصحف الإمام المجمع عليه، فلا تجوز القراءة بها لا في الصلاة ولا في غيرها[١].

ومن الذين أوجبوا الالتزام برسم المصحف المفسر أبو جعفر الطبري، حيث قال في جامع البيان[٢]: (ليس لأحد خلاف رسوم مصاحف المسلمين) .

وكذلك أبو إسحاق الزجاج[٣] فإنه يرى أن رسم المصحف لا يخالف، ويحذر القاريء أن يقرأ بما يخالفه .

كذلك أبو بكر بن مجاهد[٤] (ت ٣٢٤) يحتج برسم المصحف ويتقيد به، وكان ابن خالويه (ت ٣٧٠)[٥] مولعاً بالاحتجاج برسم المصحف متعبداً بما رسم الكاتبون في السواد .

---

(١) منجد المقرئين : ١٦ .

(٢) جامع البيان، ٢/٤٨، كتاب رسم المصحف : ٥٨ .

(٣) رسم المصحف : ٥٨ .

(٤) المصدر السابق : ٥٩ .

(٥) المصدر السابق : ٦٠ .

وممن يعتد برسم المصحف ويلتزم به علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤)[١]، وذكر الدكتور عبدالفتاح شلبي : « والملاك العام عندي في هذا الأمر : أن القراءة سنة فما خالف فيها ظاهر الخط فلا سبيل إلا إلى القراءة به » .

وقال أبو شامة في كتابه إبراز المعاني[٢]: « القراءة نقل فما وافق منها ظاهر الخط كان أقوى، وليس اتباع الخط بمجرده واجباً ما لم يعضده نقل، فإن وافق فبها ونعمت » .

وقال الدكتور عبدالفتاح شلبي في تقريره في فصل الحقائق الكبرى في البحث من كتابه رسم المصحف : « المخالفة المردودة هي التي تخالف مصحف عثمان بزيادة عليه أو نقص فيه أو تبديل فيه، ولو كان ذلك مما جاء في المصاحف القديمة »[٣].

وقال : « جعل القراء رسم المصحف ركناً من أركان القراءة الصحيحة، وهم يريدون المصحف الإمام، بعد أن انتزعت المصاحف القديمة، بما فيها من مخالفة لمصحف عثمان بالحذف

---

(١) المصدر السابق : ٦٢ .
(٢) إبراز المعاني : ٤٠٦ .
(٣) رسم المصحف : ٨٧ .

والتقديم والتأخير »[١] .

ونقل الدكتور عبدالفتاح شلبي عن مجلة الرسالة العدد ٢١٦ سنة١٩٣٧ هـ بأن لجنة الفتوى بالأزهر رأت الوقوف عند المأثور من كتابة المصحف وهجائه واحتجت لما رأته : « بأن القرآن كتب في عهد النبي صلى الله عليه وسلم برسم كتبت به مصاحف عثمان؛ واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين، والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولاً إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة »[٢] .

ونقل عن مجلة المقتطف يوليو ١٩٣٣ م قول حفني ناصف : وجوب المحافظة على الرسم العثماني لمعرفة القراءة المقبولة والمردودة، وفي المحافظة احتياط شديد لبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابة، فلا يقنع فيه باب الاستحسان »[٣] .

وجاء في كتاب البرهان للزركشي ما قاله ابن درستويه :

---

(١) رسم المصحف : ٨٨ .

(٢) المصدر السابق : ١١٨ .

(٣) المصدر السابق : ١١٨ .

« وجدنا كتاب الله جل ذكره لا يقاس هجاؤه ولا يخالف خطه، ولكنه يتلقى بالقبول على ما أودع في المصحف » .

وقال أبو عبيد كما في البرهان للزركشي : واتباع حروف المصاحف عندنا كالسنة القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها[١] .

وإضافة إلى ما سبق أنقل ما يلي :

١ ـ قال الكسائي[٢] المتوفى (١٨٩ هـ) : في خط المصحف عجائب وغرائب، تحيرت فيها عقول العقلاء، وعجزت عنها آراء الرجال البلغاء، وكما أن لفظ القرآن معجز كذلك رسمه خارج عن طوق البشر، والحكمة في الرسم أن لا يعتمد القارىء على المصحف، بل يأخذ القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بالسند العالي .

٢ ـ وروي عن المبرد المتوفى سنة (٢٨٦ هـ) أنه قال[٣]: خط المصحف لا يخالف ولا يتجاوز فيه خط زيد بن ثابت .

٣ ـ وقال أبو بكر أحمد بن مهران المتوفى (٣٨١ هـ) في كتاب الهجاء[٤]: الحق والعدل والواجب الموجه في القرآن وفي

---

(١) كتاب البرهان : ١/ ٣٨٠ .

(٢) نثر المرجان : ١/ ١٢ .

(٣) المصدر السابق : ١/ ١١ .

(٤) المصدر السابق : ١/ ١١ .

خط المصحف أن يتبع كتبته زيد بن ثابت رضي الله عنه ورسم خطه وتصويره وتمثيله ولا يحل للكاتب مخالفته ولو كان حاذقاً فهيماً .

٤ ـ وقال أبو العباس أحمد بن عمار المقريء[١] المتوفى سنة (٤٤٠ هـ) : لما كانت المصاحف التي هي الأئمة إذ قد اجتمعت عليها الأمة، تلزم موافقتها ولا تسوغ مخالفتها ـ وكان كثير من الخط المثبت فيها يخرج عن المعهود عند الناس، مع حاجتهم إلى معرفته، لتكتب المصاحف على رسمه، وتجرى في الوقف عن كثير منه لكل قاريء من القراء على مذهبه وحكمه ـ كانت الحاجة إليه كالحاجة إلى سائر علوم القرآن بل أهم، ووجوب تعليمه أشمل وأعم، إذ لا يصح معرفة بعض ما اختلف القراء فيه دون معرفته، ولا يسع أحداً اكتتاب مصحف على خلاف المصحف الإمام ورتبته .

وقد جوز بعض العلماء مخالفة هذا الرسم[٢]، ومطابقة المكتوب للمنطوق بإطلاق، ومن حججهم : أن الخطوط والرسوم ليست إلا علامات وأمارات، فكل رسم يفيد وجه القراءة فهو

---

(١) مجموعة الرسائل الكمالية (١) كتاب هجاء الأمصار / تأليف أبي العباس أحمد بن عمار، تحقيق محي الدين عبدالرحمن رمضان / ١٣٥ .

(٢) المجمع الصوتي الأول للقرآن الكريم أو المصحف المرتل، بواعثه ومخططاته بقلم لبيب السعيد، دار الكتاب العربي بالقاهرة .

صحيح، والرسم العثماني ـ إذ يخالف الإملاء العادي ـ يشق على كثير من الناس، ويوقعهم في الحرج والالتباس .

وهو بعدُ، لا يحتمه الكتاب والسنة، ولا يعدوا أن يكون اجتهاداً من الصحابة يجوز عليه الخطأ والصواب، ولا يبعد أن يكونوا قد أخطؤوا بسبب حداثة عهدهم بالكتابة(١) .

بل إن عز الدين بن عبدالسلام(٢) كان لا يجيز كتابة المصحف على المرسوم الأول، باصطلاح الأئمة، « لئلا يوقع في تغيير من الجهال »(٣) .

---

(١) انظر ابن خلدون : المقدمة (بتحقيق علي عبدالواحد وافي) ج٣/ ٩٥٣ ـ ٩٥٤، ويقول حفني ناصف في معاضدة بقاء الرسم العثماني للمصحف : ولا نعلم أحداً من العلماء حقق هذا الأمر إلا ابن خلدون، في القرن الثامن، وبعض رجال الأزهر في القرن الرابع عشر، وليس أحد منهما إماماً مجتهداً، والحمد لله (تاريخ المصحف، مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف ـ بحث نشر في « المقتطف » أول يوليو ١٩٣٣ هـ ـ ٨ ربيع الأول ١٣٥٢ هـ ج ٢/ مجلد ٨٣/ ص ٢٠٥ ـ ٢٠٦) .

(٢) ولد في دمشق سنة ٥٧٧ هـ وولي الخطابة والإمامة في الشام، وولي الخطابة والقضاء والفتيا والتدريس في مصر، وخدماته للإسلام في الحروب الصليبية والتترية معروفة، توفي سنة ٦٦٠ هـ .

(٣) انظر السبكي : طبقات الشافعية، ٥/ ٨٠ ـ ١٠٧، وابن تعزى بردى : النجوم الزاهرة في ج/ ٦ ـ ٧ في مواضع متفرقة، والسيوطي : حسن المحاضرة، =

وذكر بعضهم أن ما جاء من وجوب اتباع رسم المصحف إنما كان في الصدر الأول، والعلم غض حي، وأما الآن فقد يخشى الالتباس[١].

ورأى بعضهم قصر الرسم بالاصطلاح العثماني على مصاحف الخواص، وإباحة رسمه للعوام، بالاصطلاحات الشائعة بينهم[٢].

وربما راعى هؤلاء أن النشء والمسلمين ـ من غير الناطقين بالعربية ـ لا يسيغون أن ينطقوا بغير ما ينبي عنه ظاهر الرسم .

ويقول بعض المعاصرين : « والغرض من كتابة القرآن أن نقرأه صحيحاً، لنحفظه صحيحاً، فكيف نكتبه بالخطأ، فهل يُقرأ بالصواب ؟ وما الحكمة من أن يقيد كتاب الله بخط لا يكتب به اليوم أيّ كتاب ؟ »[٣].

ويسرف بعضهم في نقد الرسم الاصطلاحي، فيقول : « إنه

= ١/ ١٤١، ٢/ ٣٨ ـ ٣٩ ـ ١٠٩ ـ ١١٠، والمقريزي : السلوك : ١/ ٣١٢ ـ ٣٥٤ ـ ٤١٦، وابن إياس : بدائع الزهور، ١/ ٨٤، الزركشي : البرهان ١/ ٣٧٩ ـ ٣٨٠، وانظر الدمياطي البنا : اتحاف فضلاء البشر ص/ ٩ .

(١) الزركشي : المرجع السابق ١/ ٣٧٩ .

(٢) الدمياطي البنا : المرجع السابق، ص/ ٩ .

(٣) أحمد حسن زيات : مجلة الرسالة، ٨٤، يناير سنة ١٩٥٠ هـ .

يقلب معاني الألفاظ ويشوهها تشويهاً شنيعاً، ويعكس معناها بدرجة تكفر قاريه، وتحرف معانيه، وفضلاً عن هذا، فإن فيه تناقضاً غريباً وتنافراً معيباً لا يمكن تعليله ولا يستطاع تأويله »[١].

والثابت أن الجمهور على أن هذا الرسم لا يجوز فيه القياس[٢]، وأنه توقيفي[٣]، ﴿ عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ ۝٤ عَلَّمَ ٱلْإِنسَٰنَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ۝٥ ﴾ [العلق : ٤/٩٦ ـ ٥]، ﴿ نٓ ۚ وَٱلْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴾ [القلم : ١/٦٨] وربما كان من دلائل هذه التوقيفية أن الكلمة من القرآن قد تكتب في بعض المواضع برسم، وفي مواضع أخرى برسم آخر، مع أنها هي هي، والأمثلة على هذا أكبر من أن يتسع لها المقام[٤]، ولكننا ابتغاء الإيضاح نورد قليلاً جداً منها :

١ ـ كلمة « بسم » .

---

(١) ابن الخطيب : الفرقان، ص ٧١ .

(٢) علي القاري : شرح العقيلة ـ المخطوطة رقم (٣) قراءات، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة، الورقة ٢ .

(٣) الزركشي : المرجع السابق، ١/٣٧٧، ومعنى توقيفي : أنه يتوقف على السَّماع من النبي صلى الله عليه وسلم، وليس للعقل فيه مجال .

(٤) انظر : نظام الدين النيسابوري، غرائب القرآن ورغائب الفرقان ـ المقدمة السابعة في ذكر الحروف التي يكتب بعضها على خلاف بعض المصاحف، وهي في الأصل واحدة، ١/ ٣٢ ـ ٤٠ .

محذوفة الألف في كل فواتح السور، وفي الآيتين : ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا ﴾ [هود: ٤١/١١] و ﴿ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ [النمل: ٣٠/٢٧] بينما هي متثبت الألف في الآيات : ﴿ فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴾ [الحاقة : ٩٦/٥٦] و ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١ ﴾ [العلق : ١/٩٦] .

٢ ـ كلمة (تبارك) .

محذوفة الألف في الآيتين : ﴿ تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ﴾ [الرحمٰن : ٧٨/٥٥]، ﴿ تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ ﴾ [الملك : ١/٦٧] بينما الألف مثبتة في الآيات : ﴿ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٥٤]، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾ [المؤمنون : ١٤/٢٣]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ ﴾ [الفرقان: ١/٢٥]، ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِىٓ إِن شَآءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِّن ذَٰلِكَ ﴾ [الفرقان: ١٠/٢٥]، ﴿ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾ [غافر : ٦٤/٤٠] .

٣ ـ كلمة (بنات) .

محذوفة الألف في الآيات : ﴿ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾ [الأنعام : ١٠٠/٦]، و ﴿ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ ٱلْبَنَٰتِ ﴾ [النحل : ٥٧/١٦]، ﴿ أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ ﴾ [الطور : ٣٩/٥٢]، ولكن ألفها مثبتة في الآيات : ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِى ﴾ [هود : ٧٨/١١]، ﴿ مَا لَنَا فِى بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ ﴾ [هود : ٧٩/١١]، ﴿ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ ﴾ [الصافات : ١٤٩/٣٧].

٤ ـ كلمة (أعناب) .

محذوفة الألف في الآيات : ﴿ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ [الرعد : ٤/١٣]، ﴿ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ ﴾ [النحل : ١١/١٦]، ﴿ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ ﴾ [النحل : ٦٧/١٦]، ﴿ حَدَآئِقَ وَأَعْنَٰبًا ﴾ [النبأ : ٣٢/٧٨]. ولكن الألف مثبتة في الآيتين : ﴿ أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ ﴾ [البقرة : ٢٦٦/٢]، ﴿ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَٰبٍ ﴾ [الأنعام : ٩٩/٦] .

٥ ـ كلمة (سبحان) .

محذوفة الألف في الآيات : ﴿ سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ ﴾ [البقرة : ٣٢/٢]، ﴿ سُبْحَٰنَكَ فَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴾ [آل عمران : ١٩١/٣]، ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ ﴾ [الإسراء : ١/١٧]، ﴿ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ ﴾ [الإسراء : ٤٣/١٧]، ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ ﴾ [الإسراء : ١٠٨/١٧]. بينما الألف مثبتة في الآية : ﴿ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ﴿٩٣﴾ ﴾ [الإسراء : ٩٣/١٧] .

٦ ـ كلمة (رحمة) .

كتبت بالهاء في أغلب المواضع، ولكنها مكتوبة بالتاء في الآيات : ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة : ٢١٨/٢]، ﴿ إِنَّ

رَحْمَتَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [الأعراف : ٧/ ٥٦]، ﴿ رَحْمَتُ ٱللَّهِ وَبَرَكَٰتُهُۥ ﴾ [هود : ١١/ ٧٣]، ﴿ ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُۥ زَكَرِيَّآ ﴾ [مريم : ٢/١٩]، ﴿ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ ﴾ [الروم : ٣٠/ ٥٠]، ﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٣٢]، ﴿ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ ﴾ [الزخرف : ٤٣/ ٣٢]، والثابت أيضاً أن الجمهور على أن اتباع حروف المصحف كالسنن القائمة التي لا يجوز لأحد أن يتعداها(١).

وللمسلمين ـ في وجوب التمسك بالرسم القرآني المأثور ـ حجج نجملها فيما يلي :

١ ـ أن النبي صلى الله عليه وسلم كان له كُتَّاب يكتبون الوحي، وبحضرته كتبوه كله بهذا الرسم، فكأن النبي صلى الله عليه وسلم أقره، ولن يقلل ـ في رأيهم ـ من شأن هذا الإقرار، أن النبي صلى الله عليه وسلم كان أميَّاً لا يعرف الكتابة بالاصطلاح والتعليم من الناس .

« فمن جهة الفتح الرباني كان النبي صلى الله عليه وسلم يعرف القراءة والكتابة ويعرف أكثر منهما »(٢).

---

(١) الزركشي : المرجع السابق، ١/ ٣٨٠ .

(٢) انظر : محمد بن علي بن خلف الحسيني، إرشاد الحيران، ص : ٢٧ .

والذي نعتقده في هذا الشأن هو أن الله الذي أكد حفظه لكتابه إذ يقول : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩/١٥]، لم يكن ليدع الخطأ يقع في كتابة أصل شريعته وعماد دينه، ولا يلهم نبيه تصحيحه، وهذا إذا رفضنا مع الرافضين رأي من قالوا : ما مات رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى كتب وقرأ[١]، ورفضنا أيضاً رأي من قالوا بأن أمية النبي صلى الله عليه وسلم كانت على أُولى حياته، ثم أوتي الكتابة على آخرها[٢].

٢ ـ أن كتابة القرآن على الهيئة المعروفة هو ـ كما يقال ـ : « لأسرار لا تهتدي إليها العقول، وهو سر من الأسرار خص الله به كتابه العزيز، دون سائر الكتب السماوية، فلا يوجد شيء من هذا الرسم في التوراة ولا في الإنجيل ولا في الزبور ولا في غيرها من الكتب السماوية »[٣].

« وكما أن نظم القرآن معجز، فرسمه معجز، وكيف تهتدي العقول إلى سر زيادة الألف في ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ حَرِّضِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَى

---

(١) روي هذا عن ابن أبي شيبة وغيره، وانظر : علي محمد الضبَّاع : بحث في مجلة كنوز الفرقان، عدد (١) سنة ١٣٦٩ هـ .

(٢) البحث السابق، ص (٨) .

(٣) محمد بن علي بن خلف الحسيني، إرشاد الحيران، ص (١٤، ١٥) .

ٱلْقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِاْئَتَيْنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٌ يَغْلِبُوٓا۟ أَلْفًا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٨/ ٦٥ ـ ٦٦] دون ﴿ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةًۢ بِإِذْنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾ [البقرة : ٢/ ٢٤٩]، وإلى سر زيادة الياء في ﴿بِأَيْيْدٍ﴾ [الذاريات: ٥١/ ٤٧] و ﴿ بِأَيِّيكُمُ ﴾ [القلم : ٦٨/ ٦]. أم تتوصل إلى سر زيادة الألف في ﴿ سَعَوْا۟ ﴾ [الحج : ٢٢/ ٥١]، ونقصانها من ﴿سَعَوْ﴾ [سبأ : ٣٤/ ٥] ؟ أم كيف تبلغ العقول إلى درجة حذف بعض أحرف من كلمات متشابهة دون بعض ؟ إلخ »[1].

ويقول أصحاب هذا الرأي إن كل ذلك هو « لأسرار إلهية، وأغراض نبوية، وإنما خفيت على الناس؛ لأنها أسرار باطنية، لا تدرك إلا بالفتح الرباني، فهي بمنزلة الألفاظ والحروف المتقطعة التي في أوائل السور، فإن لها أسراراً عظيمة ومعاني كثيرة، وأكثر الناس لا يهتدون إلى أسرارها، ولا يدركون شيئاً من المعاني الإلهية التي أُشير إليها، فكذلك أمر الرسم الذي في القرآن حرفاً بحرف »[2].

٣ ـ أنَّ أبا بكر رضي الله عنه كتب القرآن بهذه الهيئة، في

---

(١) محمد بن علي بن خلف الحسيني : إرشاد الحيران، ص (١٦ ـ ١٨) .
(٢) المصدر السابق، ص (١٨ ـ ١٩) .

صحفٍ بإشراك الصحابة ورضاهم، ولم يخالفه أحد منهم رضي الله عنهم، وتبعه عثمان رضي الله عنه، على ملأ من الصحابة وبرضاهم أيضاً، ثم لم ينقل أن أحداً من التابعين وتابعيهم رأى أن يستبدل في العصور التي تقدمت فيها طرائق الكتابة بالرسم العثماني رسماً محدثاً ومادام قد انعقد الاجماع على تلك الرسوم فلا يجوز العدول عنها إلى غيرها، إذ لا يجوز خرق الإجماع بوجه[١].

والإجماع حجة حسبما تقرر في الأصول، ومحال ـ في حق الصحابة ـ أن يخالفوا ما أقره النبي صلى الله عليه وسلم ويتصرفوا في القرآن بأي زيادة أو نقصان، وإلا « لزم تطرق الشك إلى جميع ما بين الدفتين، لأننا مهما جوزنا أن تكون فيه حروف ناقصة أو زائدة على ما في علم النبي صلى الله عليه وسلم، وعلى ما عنده وأنها ليست بوحي ولا من عند الله، ولا نعلمها إلا بعينها، تشككنا في الجميع، ولئن جوزنا لصحابي أن يزيد في كتابته حرفاً ليس بوحي لزمنا أن نجوز لصحابي آخر نقصاً في حرفٍ من الوحي، إذ لا فرق بينهما، وحينئذ تنحل عقدة الإسلام بالكلية »[٢].

والشافعي يقول في الصحابة : إنهم « أدوا إلينا سنن رسول الله

---

(١) المصدر السابق، ص (٤١ ـ ٤٢) .
(٢) المصدر السابق، ص (٢٣ ـ ٢٥) .

صلى الله عليه وسلم عامَّاً وخاصاً وعزماً وإرشاداً، وعرفوا من سننه ما عرفنا وجهلنا، وهم فوقنا في كل علم، واجتهاد وورع وعقل، وأمرٍ استُدرك به علم واستنبط به، وآراؤهم لنا أحمد، وأَولى بنا من رأينا عند أنفسنا »[١].

ويقول أبو البقاء العكبري في كتاب (اللباب في علل البناء والإعراب) : « ذهب جماعة من أهل اللغة إلى كتابة الكلمة على لفظها إلا في خط المصحف، فإنهم اتبعوا في ذلك ما وجدوه في المصحف الإمام، والعمل على الأول »[٢].

وربما أوهن القول بأن الصحابة كانوا يجهلون قواعد الكتابة أن كتاباتهم وخطوطهم ـ وما زالت لها، أو للكتابات المعاصرة لها بقايا ـ خالية من الخطأ الإملائي، وأنهم لا بد قد كتبوا فيما بينهم الديون والعقود، ولا بد أنها كانت وفق القواعد الإملائية العادية، وإلا اعتورها اللبس، ولعل من أمثلة عنايتهم بدفع الخطأ ـ في فهم الكتابة ـ تمييزهم بين عمر وعمرو بزيادة واو في الثاني[٣].

---

(١) نقلاً عن النشر، ج (١)، ص (١٢) .

(٢) الورقة (٣٠) من المخطوطة رقم (٢٣) نحو، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٣) انظر : محمد طاهر بن عبدالقادر الكردي : تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه، ص (١٢٨ ـ ١٣١) .

٤ ـ والفقهاء مجمعون، أو كالمجمعين على هذا الرسم :

سُئل مالك : أرأيت مَن استُكْتِب مصحفاً، أترىٰ أن يكتب على ما أحدثه الناس من الهجاء اليوم؟ قال : لا أرى ذلك، ولكنه يكتب على الكتبة الأولى : كتبة الوحي .

قال الداني معقباً على هذا : ولا مخالف له (يعني مالكاً) في ذلك من علماء الأمة[١] .

وسُئل مالك أيضاً عن الحروف في القرآن مثل الواو والألف : أترى أن تغير إذا وجد فيه كذلك ؟ فقال : لا .

قال أبو عمرو : يعني الواو والألف المزيدتين في الرسم لمعنى، المعدومتين في اللفظ، نحو : الواو في ﴿ أولوا الألبب ﴾، و ﴿ أولت ﴾، و ﴿ الربوا ﴾، ونحوه[٢] .

ويقول على القاري في هذا الشأن : « والذي ذهب إليه مالك هو الحق؛ إذ فيه بقاء الحالة، إلى أن تعلمها الطبقة الأخرى بعد

---

(١) المقنع، ص (١١)، من النسخة المخطوطة السالفة الذكر، وص (١٠)، من النسخة المطبوعة . وانظر : علي سلطان القاري : المنح الفكرية على متن الجزرية، ص (٨٥) . ومحمد غوث ناصر الدين الأركاني : نثر المرجان في رسم نظم القرآن، ج (١)، ص (١٠) .

(٢) المقنع، ص (٢٨)، من النسخة المطبوعة .

الأخرى، ولا شك أن هذا هو الأحرى؛ إذ في خلاف ذلك تجهيل الناس بأولية ما في الطبقة الأولى »[١].

وقال أحمد : « تحرم مخالفة خط مصحف عثمان رضي الله عنه في واو، أو ألف، أو ياء، أو غير ذلك »[٢].

وقال البيهقي في شعب الإيمان : « من يكتب مصحفاً فينبغي أن يحافظ على الهجاء الذي كتبوا به تلك المصاحف، ولا يخالفهم فيه، ولا يغير مما كتبوا شيئاً، فإنهم كانوا أكثر علماً وأصدق قلباً ولساناً، وأعظم أمانة منا، فلا ينبغي أن نظن بأنفسنا استدراكاً عليهم »[٣].

وفي المدخل لابن الحاج : ويتعين عليه (يريد كاتب المصحف) أن يترك ما أحدثه بعض الناس في هذا الزمان، وهو أن ينسخ المصحف على غير مرسوم المصحف الذي اجتمعت عليه

---

(١) انظر : محمد غوث ناصر الدين الأركاني، نثر المرجان في رسم نظم القرآن، ج (١)، ص (١٠) .

(٢) انظر، الزركشي، البرهان ج (١)، ص (٣٧٩)، وانظر : غوث الأركاني، الكتاب السابق، ص (١١) .

(٣) انظر : الزركشي، نفس المرجع، ص (٣٨٠)، وانظر : غوث الأركاني، نفس الكتاب .

الأمة، على ما وجد به بخط عثمان بن عفان ـ رضي الله عنه ـ أي في عهده[١].

وفي شرح الطحاوي : « ينبغي لمن أراد كتابة القرآن أن ينظم الكلمات كما هي في مصحف عثمان رضي الله عنه؛ لإجماع الأمة على ذلك »[٢].

وقد ذكرنا في موضع آخر ما يراه عياض، صاحب الشفا بتعريف حقوق المصطفى من تكفير مَن نَقَّصَ حَرفاً مما يشتمل عليه المصحف الذي وقع عليه الإجماع، وقد أيَّد هذا شُـرَّاح الشفا ومنهم : علي القاري، والخفاجي، وكلاهما من كبار الحنفية، وقالا بعد قول عياض « أو زاد حرفاً » : « كتابة أو قراءة »[٣].

ومكي بن أبي طالب يقول : « وهذا الذي يخالف الخط لا تجوز القراءة به اليوم؛ لمخالفة خط المصحف، وهو المنهي عنه »[٤].

---

(١) انظر : علي الضبَّاع، سمير الطالبين في رسم وضبط الكتاب المبين، ص (٢٠) .

(٢) انظر : الكتاب السابق .

(٣) انظر : الكتاب السابق، ص (٢٠ ـ ٢١) .

(٤) الإبانة عن معاني القراءات، ص (٣٦) .

وقد جرى على هذا الرسم ـ علم رسم كتابة القرآن في المصاحف[١] ـ وكذا ـ علم آداب كتابة المصحف ـ وهو علم من فوائده : تحسين كتابته وتبيينها وإيضاحها وتحقيق الخط[٢] .

وعلى ما ذكرناه آنفاً من أن بعضهم يذهب إلى تكفير المخالفين في الرسم الاصطلاحي للمصحف، نقرر أننا نخالف ذلك الرأي ونرى أن الأمر لا يستدعي هذا التكفير، ويساير رأينا رأي القضاء العربي الحديث؛ فقد نظرت المحكمة الإدارية في قضية عاب فيها الأزهر على أحد المؤلفين[٣] نقده الرسم الاصطلاحي للمصحف، فرأت المحكمة أن لا حرج في هذا النقد ما دام المؤلف قد عرض وجادل، وناقش الأراء المختلفة مما ينفسح معه المجال للقول بأنه سلك طريق البحث العلمي، ولا عليه ـ بعد ذلك ـ إن كان يترك قولاً ويأخذ بقول، أو يدع رأياً ويستجيب إلى رأي[٤] .

---

(١) صديق حسن خالد، أبجد العلوم، ص (٤٩٠) .

(٢) المرجع السابق، ص (٢٩٩) .

(٣) وهو محمد عبداللطيف بن الخطيب، صاحب كتاب (الفرقان) .

(٤) الحكم في القضية رقم (٦٨٥)، سنة (٢) القضائية، بجلسة ١١/ مايو/ ١٩٥٠، مجموعة أحكام مجلس الدولة، مجلد (٥)، ص (٢٨٨) .

قلت : هذا قضاء قانوني يشجع على المروق وعدم التقيد بما هو معلوم من الدين بالضرورة، ولو كان قضاءً إسلامياً لحكم عليه بالتعزير الرادع إن لم يحكم عليه بالكفر، كما عُزِّرَ بعض القراء الذين أجازوا القراءة بما يوافق العربية والرسم ولو لم يكن منقولاً بالتواتر، فعقد له مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه محضر .

٥ ـ أن القول بأن الرسم غير توقيفي، وأن الصحابة كتبوه على ما تيسر لهم، لجهلهم بالخط يومئذٍ، ثم إجماع الأمة ـ منذ عهد النبي صلى الله عليه وسلم إلى اليوم ـ على رسم خاطيء ينفي الحفظ الذي أكده الله، أما والحفظ حقيقة ملموسة، فإن التوقيف في الرسم يكون حقيقة .

على أن الرسم الذي عده بعضهم دليلَ جهلِ الصحابةِ بالخطِ هو عند آخرين، آية ذهنية قوية لهم في علم الهجاء خاصة .

يقول ابن الجوزي : « إن كتابة الصحابة للمصحف الكريم مما يدل على عظيم فضلهم في علم الهجاء خاصة، وثقوب فهمهم في تحقيق كل علم »[1].

---

(١) انظر : حمزة فتح الله، المواهب الفتحية في علوم العربية، ج (١)، ص (١٦) .

واستدل السيوطي على قدم علم النحو بما منه كتابة المصحف على الوجه الذي يُعلِّله النحاة، في ذوات الياء والواو والهمزة، والمد والقصر، فكتبوا ذوات الياء بالياء، وذوات الواو بالألف[١].

٦ ـ وجوب الاحتياط الشديد لبقاء القرآن على أصله، لفظاً وكتابة وذلك سداً للذرائع، ومنعاً من فتح باب الاستحسان في كتابة القرآن؛ لأنه إذا فُتِح هذا الباب في الرسم على نحوٍ ما، فقد لا يلبث أن يفتح في اللفظ أيضاً، ويتطرق إلى الكتاب الأكبر التغيير والتبديل[٢]، وسد الذرائع أصل من أصول الإسلام التي تبنى عليها الأحكام[٣].

جواز أن يفضي تغيير الرسم القرآني إلى هدم كثير من علوم الأداء قياساً على هدمه، بدعوى سهولة التناول للعموم .

---

(١) انظر : الكتاني، التراتيب الإدارية، ج (٢)، ص (٢٩٨ ـ ٢٩٩) .

(٢) انظر : حفني ناصيف، تاريخ المصحف، مقدمة كتاب في قواعد رسم المصحف ـ بحث نشر في المقتطف أول يوليو سنة ١٩٣٣ م ـ ٨/ ربيع الأول/ ١٣٥٢ هـ، ج (٢)، مجلد (٨٣)، ص (٢٠٣ ـ ٢٠٦) .

(٣) انظر : فتوى في شأن الرسم القرآن، أصدرتها لجنة الفتوى بمصر، سنة ١٩٣٧، ضمن تقرير عن كتاب (الفرقان) ـ مجلة الأزهر، صفر سنة ١٣٦٨ هـ .

٨ ـ أن قواعد الإملاء العادي لم يتفق عليها واضعوها، وهي عرضة للتغيير والتبديل، ومتطورة على مدى الزمن[١]، فواجب الحذر والتحرز يقتضي من المسلمين أن ينزهوا القرآن في رسمه عن قواعد نختلف فيها، ومطلوب تغييرها، ويحتمل أن يُؤَثِّمَ المسلمون بعضُهم بعضاً بسببها، وربما كان الترخيص في الرسم القرآني المأثور قريباً على نحوٍ ما من أسلوب التحريف الذي عمدت إليه

---

(١) وقد رأينا بلداً كان مقر خلافة المسلمين يكتب القرآن بالحروف اللاتينية، ورأينا عبدالعزيز فهمي أحد رجال مجمع اللغة العربية بالقاهرة ينادي في إصرار وحماسة باستعمال الحروف اللاتينية في كتاب العربية، ولم يعدم نصيراً يعضده .

تكلم عبدالعزيز فهمي عن الرسم العثماني، فقال في إسراف وتحامل : « إنه سرطان أزمن، فَشَوَّه منظر العربية وغشي جمالها، ونفر منها الولي القريب، والحاطب الغريب، وإذ أقول : (سرطان) فإني أعني ما أقول، كالسرطان حساً ومعنىً » (الحروف اللاتينة في كتابة العربية، ص (٧)) .

ويقول : إنه استيقن أن لا محيص من اتخاذ اللاتينية لرسم العربية (المرجع السابق)، ص (١٠) .

ويقول : « أقرر بأني لست مكلفاً باحترام رسم القرآن، ولست ألغي عقلي لمجرد أن بعض الناس أو كلهم يريدون إلغاء عقولهم، ولا يميزون بين القرآن العظيم كتاب الله القديم، وبين رسمه السخيف الذي هو من وضع المؤمنين القاصرين » (المرجع السابق : ص ٢٣) .

إسرائيل أخيراً، والذي سنفصل القول فيه في فصل آخر .

وفي معرض الحديث عن تيسير قراءة المصحف المكتوب، ترد هذه الأسئلة :

هل نكتب المصحف بالحروف اللاتينية[١] لتسهل تلاوته على عارفي هذه الحروف ؟

وهل نكتبه بالحروف الصينية مثلاً لتيسير قراءته على الصينيين ؟ وهل نكتبه أيضاً بالحروف الأمهرية للأحباش ؟ وبالحروف اليونانية لليونان ؟

قال حفني ناصف ـ معترضاً على القائلين بكتابة المصحف بالرسم الإملائي : « ولا يبعد إذا سلم كلام هؤلاء العلماء ـ أن يذهب غيرهم إلى استحسان كتب المصاحف بالحروف اللاتينية، وآخرون إلى اختصاره، وآخرون إلى إرجاعه إلى اللغة العامية ليعم نفعه، إلى غير ذلك من الرقاعات والمخرقة، وماذا بعد الحق إلا الضلال ؟ »[٢].

على أني أسأل : هل تغني كتابة المصحف لكل قوم بحروف

---

(١) طبقاً لدعوى الأعجمي المشار إليه .

(٢) انظر : حفني ناصف، البحث السابق .

لغتهم ؟ هل تغني في تعليمهم كيف يقرؤون القرآن مجوداً من غير تلقين شفهي ؟

أن المصاحف ـ وخاصة في العصر الحديث ـ مضبوطة بالشكل التام، ومذيلة ببيانات إرشادية تيسر للناس ـ إلى حد ما ـ قراءة الكلمات المخالفة في رسمها للإملاء العادي، ثم إن رسم المصحف العثماني لا يخالف قواعد الإملاء المعروفة إلا في كلمات معينة لا يصعب على أحد ـ إذا لُقِّنَهَا ـ أن ينطق بها صحيحة(١).

والذي اجتمعت عليه الأمة : أن من لا يعرف الرسم المأثور يجب عليه أن لا يقرأ في المصحف، حتى يتعلم القراءة على وجهها، ويتعلم مرسوم المصحف(٢).

١٠ ـ أن علماء الرسم العثماني تتبعوا الكلمات التي يختلف رسمها عن نطقها، وعللوا لها بما يُعرف منه أن مرجع الخلاف، هو ما في الكلمات من قراءات يحتملها الرسم، أو ما فيها من قراءة

---

(١) انظر الفتوى الصادرة سنة ١٩٣٧ م في شأن رسم المصحف، (مجلة الأزهر، ع، صفر ١٣٦٨ هـ) ضمن تقرير عن كتاب الفرقان .

(٢) انظر : محمد بن حبيب الشنقيطي : إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع المصحف الإمام، ص (١٦) .

واحدة يُستدعى أن تكتب بصورتها التي لا تحتمل ما سواها .

وهذا نظام الدين النيسابوري ينقل عن جماعة من الأئمة قولهم : « إن الواجب على القُرَّاء والعلماء وأهل الكُتَّاب أن يتبعوا هذا الرسم في خط المصحف، فإنه رسم زيد بن ثابت، وكان أمين رسول الله صلى الله عليه وسلم وكاتب وحيه، وعلم من هذا العلم بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم ما لم يعلم غيره، فما كتب شيئاً من ذلك إلا لِعِلَّةٍ لطيفةٍ وحكمةٍ بليغةٍ وإن قَصُرَ عنها رأينا ألا ترى أنه لو كتب : (على صلواتهم)، و (إن صلواتك) بالألف بعد الواو، أو بالألف من غير واو، لما دل ذلك إلا على وجه واحد وقراءة واحدة، وكذلك : ﴿ وَسَيَعْلَمُ ٱلْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى ٱلدَّارِ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الرعد : ١٣/ ٤٢]، تكتب (الكفر) بغير ألف قبل الفاء ولا بعدها ليدل على القراءتين »[1].

١١ ـ وأن في الرسم العثماني فوائد منها :

(أ) الدلالة على أن الأصل والشكل والحروف لكتابة الحركات حروفاً باعتبار أصلها في نحو : ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل : ١٦/ ٩٠]، ﴿ سَأُوْرِيكُمْ ﴾ [الأعراف : ٧/ ١٤٥] و [الأنبياء :

---

(١) غرائب القرآن ورغائب الفرقان، ج (١) ص (٤٠) .

٧/٢١] (الصلـوة)[١]، بـالـواو بـدل الألـف : (الـزكـوة)[٢] بالواو بدل الألف أيضاً .

(ب) النص على بعض اللغات الفصيحة : ككتابة هاء التأنيث هاءً مجرورة على لغة طيء .

وكحذف ياء المضارعة لغير جازم، في : ﴿ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ ﴾ [هود : ١١/ ١٠٥] على لغة هذيل .

(ج) إفادة المعاني المختلفة بالقطع، والوصل، في بعض الكلمات نحو : ﴿ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴾ [النساء : ١٠٩]، ﴿ أَمَّن يَمْشِى سَوِيًّا عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ [الملك : ٦٧/ ٢٢]، فإن قطع (أم) عن (من) يفيد معنى (بل) دون وصلها .

(د) أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم برسم واحد، نحو :

(١) ﴿ وَإِيتَآيِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ ﴾ [النحل : ١٦/ ٩٠] :

فالقراء يختلفون فيها ـ في حالة وصلها بما بعدها ـ في مقادير المد : فمنهم من مدها ثلاث حركات، ومنهم من

---

(١) في (٦٧) موضعاً من القرآن الكريم، عدا مواضع أخرى جاءت فيها كلمة ﴿ صلوة ﴾ متصلة بضمائر مختلفة .

(٢) في (٣٢) موضعاً من القرآن .

مدها أربعاً، ومنهم من مدها خمساً، ومنهم من مدها ستاً، وحمزة وهشام بخلفه يقفون على : (وإيتاءي) ونحوه مما رسم بياء بعد الألف، بإبدال الهمزة الثانية ألفاً، على التفصيل الذي أوضحه علماء القراءات[١].

(٢) ﴿ عُلَمَٰٓؤُاْ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ [الشعراء : ٢٦/ ١٩٧] :

فهي كالكلمة السابقة، يختلف فيها القراء في حالة وصلها بما بعدها في مقادير المد، وحمزة وهشام بخلفه يغيرون الهمزة واواً على وجوه ذكرها العلماء[٢].

(٣) ﴿ مَا كُنَّا نَبۡغِۚ ﴾ [الكهف : ١٨/ ٦٤] :

فمع أن كُتَّاب المصاحف أجمعوا على كتابتها بغير ياء بعد الغين، فقد اختلف القُرَّاء في إثبات الياء وحذفها، فأثبتها وصلاً : نافع، وأبو عمرو، وأبو جعفر، والكسائي .

وأثبتها وصلاً ووقفاً : ابن كثير، ويعقوب .

وحذفها، وصلاً ووقفاً : ابن عامر، وعاصم، وحمزة، وخلف العاشر .

---

(١) انظر مثلاً : الدمياطي البنا : اتحاف فضلاء البشر، ص (٢٨) .

(٢) انظر : الدمياطي البنا : المرجع السابق، ص (٣٣٤) .

وهذه الياء حذفت رسماً للتخفيف، فمن قرأ بحذفها وافق الرسم تحقيقاً، ومن قرأ بإثباتها وافق الرسم تقديراً، والأصل، إثباتها لأنها لام الكلمة(١).

(٤) ﴿ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ ﴾ [البقرة : ٩/٢] : فقد اختلفت القراءات فيها :

فقرأها (يَخْدَعُون) بفتح الياء، وإسكان الخاء وفتح الدال : ابن عامر، وعاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، وأبو جعفر ويعقوب .

وقرأها نافع وابن كثير وأبو عمرو : (يُخَادِعون) بضم الياء وفتح الخاء وألف بعدها وكسر الدال(٢).

(٥) ﴿ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا ۚ لَّا ﴾ [الأنعام : ١١٥/٦] :

فقد اتفق كتاب المصاحف على كتابتها بحذف الألف بعد الميم وبالتاء بعدها، ولكن القراء اختلفوا فيها : فقرأها بالإفراد : عاصم، وحمزة، والكسائي، وخلف، ويعقوب .

---

(١) انظر : أبو عمرو الداني، التيسير في القراءات السبع، ص (١٤٧)، والدمياطي البنا، المرجع السابق، ص (١٩٢) .
(٢) انظر : ابن الجزري، النشر، ج (٢) ص (٢٠٧) .

وقرأها بالجمع : نافع، وابن كثير المكي، وأبو عمرو، وبن عامر، وأبو جعفر[١].

(٦) ﴿ هَٰذَانِ ﴾ [طه : ٢٠/٦٣] :

قال أبو حيان في البحر المحيط : قال أبو عبيد : رأيتها في الإمام مصحف عثمان : (هذان) ليس فيها ألف .

ويستفاد من كلام الدمياطي البنا[٢]: أن (هذان) رسمت بغير ألف ولا ياء، وإنما رسمت كذلك ليحتمل رسم المصحف قرائتي الألف والياء معاً، ولو رسمت بالياء لفات ذلك، ولم يحتمل المصحف قراءة الألف[٣].

١٢ ـ وأنه ليس لازماً في الكتابة العربية أن توافق صورة الرسم صورة النطق باللفظ، فإن (داود) يكتب بواو واحدة، والنطق بواوين، و (عمرو) يُكتب بعد رائه واوٌ، ولا ينطق بها، ومن ثم لا يصح الذهاب إلى أن الصحابة أخطؤوا حين زادوا ـ مثلاً ـ ياءً في كلمة (بأييد) في قوله تعالى : ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْيْدٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ﴾ [الذاريات : ٥١/٤٧].

---

(١) انظر ابن الجزري : النشر، ج (٢)، ص (٢٦٣)، والدمياطي البنا : إتحاف فضلاء البشر، ص (٢١٦) .

(٢) إتحاف فضلاء البشر، ص (٣٠٤) .

(٣) انظر : محمد بخيت المطيعي، الكلمات الحسان، ص (٤٣) .

على أن أبا عبدالله الخراز يقول :

وآخـــر اليـــاءيـــن مـــن (بـــأييـــد)
للفـــرق بينـــه وبيـــن الأيـــدي[١]

ولمثل هذا نظائر باقية في اللغات الأجنبية، ففي بعض الكلمات الإنجليزية مثلاً، حروف لا ينطق بها وأخرى تخالف أصواتها الأصلية أصوات النطق الفعلي، وقد أبى الإنجليز استبعاد هذه الحروف، يبغون بذلك أن تبقى الكلمات بشكلها المألوف منذ قديم الزمن، وأن تظل لها أصولها الضاربة في اللاتينية أو غيرها من اللغات القديمة .

وقد ذكرت في تبرير الاختلافات بين رسم المصحف والرسم الإملائي أسباباً تستحق الاعتبار، فمثلاً قال أبو داود في تبرير الاختلافات بين رسم المصحف والرسم الإملائي أسباباً تستحق الاعتبار، فمثلاً قال أبو داود في تبرير ما اصطلح عليه في حذف حروف المد في المصحف : « والحذف من المصحف إنما وقع في الألف والياء والواو لبقاء ما يدل عليهن، وكأنهن لم يحذفن لذلك، إذ الفتحة قبل الألف تدل عليها، والضمة قبل الواو كذلك،

---

(١) انظر : محمد بخيت المطيعي : المرجع السابق، ص (٣٥) .

والكسرة قبل الياء مثلهما، وأيضاً : فإن الأحرف الثلاثة المذكورة لما كثر ورودها وجب اختصارها اصطلاحاً من الكاتبين على ذلك، لما رأوْا حروف المد واللين الثلاثة المذكورة، وازت سائر الحروف الخمسة والعشرين . . . »[١] .

١٣ ـ أن الاهتداء إلى تلاوة القرآن الكريم على حقه لا يكون إلا بموقّف، شأن كل علم نفيس يحتفظ به .

وقد قيل : « إن الحكمة في الرسم : أن لا يعتمد القاريء على المصحف، بل يأخذ القرآن من أفواه الرجال الآخذين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ بالسند العالي »[٢] .

وقيل إن تغيير كتابة المصحف يجهِّل الناس بأوليتهم وكيفية ابتداء كتابتهم، وهذا في ميزان العلم خسران .

---

(١) ملاحظة كتبها مجهول على هامش (المقنع) لأبي عمرو الداني، ص (١٢)، المخطوطة رقم (٦٣)، قراءات، بدار الكتب والوثائق القومية بالقاهرة .

(٢) غوث الأركاني : نثر المرجان في رسم نظم القرآن، ج (١)، ص (١٦) .

وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني[١]
للشيخ علي النوري ـ رحمه الله ـ

« الحق والصواب أنه واجب، ويكفيك أنه مذهب الجمهور، بل حكى شيخ شيوخنا أستاذ أهل المغرب في زمانه بلا منازع عبدالرحمن بن القاضي[٢] الإجماع عليه، ولا يوجد في كلام

---

(١) وهو ردٌّ منه على الشيخ العربي الفاسي الذي مال إلى أن اتباع رسم المصحف العثماني مندوب وليس بواجب .

وهي رسالة لطيفة ننقلها بتمامها، وقد طُبعت مع رسالة له أخرىٰ في حكم السماع . دار الغرب الإسلامي . بيروت ـ لبنان ١٤٠٦ هـ .

والنوري هو : علي بن سالم بن محمد بن سالم النوري، يكنىٰ بأبى الحسن ولد بصفاقس وتلقىٰ العلم على كبار علماء تونس، اشتغل بالتدريس والتأليف والإقراء توفي سنة ١١٨ هـ من أشهر كتبه : (غيث النفع في القراءات السبع) .

انظر ترجمته في : معجم المؤلفين لكحالة : ٧/ ٢٠١ .

(٢) محمد العربي ابن الشيخ يوسف الفاسي، العلامة المدقق، مولده في شوال سنة ٩٨٨، ووفاته بتطوان في ربيع الثاني سنة ١٠٥٢، له مؤلفات كثيرة منها شرح على القصيدة الشقراطسية .

انظر: شجرة النور الزكية ٣٠٢، معجم المؤلفين ٦/ ٢٧٨ ـ ٢٧٩ .

المتقدمين إلا ما يدل عليه، وتأويله تكلف لا يحتاج إليه، وما استدل به الشيخ العربي الفاسي[١] ـ رحمه الله ـ كله مدخول، ولولا خوف الإطالة لتتبعت جميع ذلك بكلام نفيس تطأطيء له الرؤوس، ويسلمه كل من أنصف وسلم من رعونات النفوس، انظر إلى قوله: ولقد رأينا مصاحف كثيرة قديمة من مصاحف الأندلس على قراءة نافع، ولا يحذفون فيها إلا قليلا، ومصاحف من المشرق على قراءة ابن كثير وقراءة حمزة، من غير التزام لهذا الرسم الاصطلاحي .

هذا لا يسمى شبهة فضلاً عن كونه دليلاً لأن هذه المصاحف ـ وإن كانت قديمة ـ فالغالب أنها كتبت في القرون المتأخرة لما كثر الجهل، وأعرض الناس عن غالب مراشدهم، وعلى تقدير أنها كتبت في القرون الأول، فلا يعرف كاتبها أنه من العلماء الموثوق بهم أم لا، فكيف يجعل هذا دليلاً يعارض به ما فعل في حياته

---

(١) عبدالرحمن بن أبي قاسم ابن القاضي المكناسي ثم الفاسي، وهو مرجع المغرب في أحكام القراءات، ومن تلامذته شيخ القراء بمصر محمد بن محمد الأفراني، الذي هو من جملة من أخذ عنه الشّيخ علي النوري أيام مجاورته بالأزهر، وتوفي بفاس سنة ١٠٨٢ وله مؤلفات في القراءات .
انظر : الأعلام ٣/ ٣٢٢، معجم المؤلفين ٥/ ١٦٥ .

صلى الله عليه وسلم وبين يديه، وأبو بكر ـ رضي الله عنه ـ إنما حدث جمعه في مصحف واحد لا كتابته، ولا يقال إن ما فعله أبو بكر ـ رضي الله عنه ـ بدعة لأنه مما اقتضته قواعد الشّريعة وأمرت به، وكل ما كان كذلك فليس ببدعة، وإنما لم يفعل في زمنه صلى الله عليه وسلم لما كان يترقب من زيادة القرآن بنزول ما لم ينزل منه ونقصه بنسخ ما ينسخ، ولا تظن أن زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ الذي كتب المصحف لأبي بكر خالف هيئة ما كان يكتبه في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم وبين يديه، ثم إن عثمان أرسل إلى حفصة أم المؤمنين فبعثت إليه بالمصحف فنسخه في مصاحفه، ولا تظن أنهم بدّلوا أو غيروا، لاسيما ومعهم زيد بن ثابت الذي كتب لهم المصحف الأول، وارتضى كل الصحابة ما فعل عثمان، ولم يعب عليه أحد، حتى قال علي ـ رضي الله عنه ـ لو وليت لفعلت في المصاحف ما فعل عثمان وقال أيضاً : أعظم الناس في المصاحف أبو بكر فهذا أمر فعله رسول الله صلى الله عليه وسلم وأجمع عليه الخلفاء الراشدون والصحابة من بعد إجماع قولي من بعض، وسكوتي من بعض، بل هذا أرفع من السكوتي لأن السكوتي أن يفتي بعض المجتهدين، ويبلغ الباقين فيسكتون من غير تصريح بموافقة ولا إنكار، والنّاس كلهم : الصحابة ومن

بعدهم عملوا في مصاحفهم ما عمل عثمان، كما قال مالك : يكتب المصحف على الكتابة الأولى، قال الداني : ولا مخالف له في ذلك من علماء الأمة انتهى، فهو إجماع بلا شك، وخرق الإجماع حرام إن كان مستنده نصا اتفاقا، وإن كان مستنده الاجتهاد فعلى الصحيح، وقد انتصر للقول بالوجوب شيخ شيخونا ابن القاضي، وساق عليه أدلة، فانظرها تعرف صحة القول بالوجوب وضعف القول بالاستحباب .

وقد جرى الصحابة ـ رضي الله عنهم ـ في رسم المصاحف العثمانية على ما يقتضيه يسر الدين وسعته في كل شيء، حتى في القرآن نفسه فقد أذن الله لرسوله صلى الله عليه وسلم ولأمته أن يقرأوه على سبعة أحرف، فحذفوا في بعضها ما أثبتوه في آخر، وكان ذلك لحكم وأسرار تدل على دقة أنظارهم، وكمال فطنتهم، وعلى هذا يحمل ما وقع من الخلاف بين العلماء في الإثبات والحذف . فقراءاتهم كلهم على حق وصواب، وكل اقتدى بما رأى في المصاحف العثمانية أو مصاحف الأمصار التي كتبها العلماء الموثوق بهم التابعون للمصاحف العثمانية، وعلى هذا فمن قلّد أحد الأعلام في رسمه لكتاب الله فهو مصيب، ولاسيما من قلد الداني وغيره، والمجمع على فضله وجلالته وإتقانه وقبول تواليفه

عند الخاص والعام، وشهادتهم في غاية الحسن والإتقان، كما قاله الحافظ الذهبي بعد أن نقل عن ابن بَشْكُوال أن أبا عمرو أحد الأعلام في علم القرآن روايته وتفسيره ومعانيه وطرقه وإعرابه، وجمع في ذلك كله تواليف حساناً مفيدة، قال : وكان حسن الخط جيد الضبط من أهل الحفظ والذكاء والتفنن ديّنا فاضلا ورعا، وكان مجاب الدعوة ـ رضي الله عنه ـ انتهى فإذا كان مقلد هذا مخطئا فمن المصيب ؟

فإن قلت المصاحف العثمانية نسخت من مصحف الصديق، وهو مصحف واحد لا يمكن أن تكون الكلمة الواحدة فيه ثابتة محذوفة، فمن أين جاء هذا الخلاف الذي ذكرته وإنه كله حق وصواب ؟

فالجواب يمكن أن يكون زيد بن ثابت ـ رضي الله عنه ـ أشار إلى هذا بعلامة يعلمها من وقف على المصحف، وقد كان ـ رضي الله عنه ـ بلغ الغاية القصوى في فرط الذكاء، وكمال العقل، أو أنه كان يثبت كلمة الخلاف في الهامش على غير ما كتبها في أصل المصحف كما شاهدنا ذلك في مصاحف كثيرة بلغت الغاية في الضبط والإتقان لا يشك من رآها أنها كتابة عالم متمكن في هذا الفن، ويزداد المصحف بذلك حسناً وطلاوة، وإنه كان مستحضرا

ذلك في ذهنه وفعله ما يمكن من فعله، ولا يظن بأصاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل أمر إلا الخير لاسيما فيما يتعلق بأمر الدين وكتاب الله المبين - رضي الله عنهم أجمعين - وحشرنا في زمرتهم آمين » ا . هـ

خلاصة ما تقدم في هذا البحث

حجج المتمسكين بالرسم القرآني المأثور :

١ ـ كُتِب القرآن بحضرة النبي صلى الله عليه وسلم فكأنَّه أقرَّه، رأينا : أن الله تعالى لم يكن ليدع الخطأ في كتابة أصل شريعته وعماد دينه، ولا يلهم نبيه تصحيحه .

٢ ـ القول بأن اختلاف الرسم الاصطلاحي عن القياسي هو لأسرار إلهية .

٣ ـ إجماع الصحابة على الرسم الاصطلاحي والإجماع حجة .

ـ الشافعي يؤيد آراء الصحابة، وأبو البقاء العكبري يقرر أن العمل هو على المصحف الإمام ـ وردنا على القول بجهل الصحابة بقواعد الكتابة .

٤ ـ إجماع الفقهاء على الرسم الاصطلاحي ـ الردّ على من يكفِّرون المخالفين في الرسم الاصطلاحي .

٥ ـ تخطئة الرسم الاصطلاحي تنفي الحفظ الذي أكدَّه الله .

٦ ـ وجوب إبقاء القرآن على أصله لفظاً وكتابةً؛ سداً للذرائع .

٧ ـ تغيير الرسم القرآني يهدم كثيراً من علوم الأداء .

٨ ـ قواعد الإملاء العادي متطورة، ومختلف فيها، والخير تنزيه

القرآن عنها ـ وجوب الاحتياط من التحريف ـ رد على الذاهبين إلى تيسير قراءة المصحف المكتوب يكون بكتابته بالرسم الإملائى .

٩ ـ لا حاجة إلى التغيير ما دامت المصاحف مضبوطة بالشكل التام، ومذيلة بالبيانات الإرشادية .

١٠ ـ مرجع الخلاف هو ما في الكلمات من قراءات يحتملها الرسم .

١١ ـ في الرسم العثماني فوائد منها :

أ ـ الدلالة على الأصل والشكل والحروف .

ب ـ النص على بعض اللغات الفصيحة .

ج ـ إفادة المعاني المختلفة بالقطع والفصل في بعض الكلمات .

د ـ أخذ القراءات المختلفة من اللفظ المرسوم بلفظ واحد وأمثلة لهذا .

١٢ ـ اختلاف صورة الرسم عن صورة النطق : له نظائر في اللغات الأجنبية

١٣ ـ العبرة بالأخذ من أفواه الرجال، وكراهية تجهل الناس بأوليتهم .

قرار مجلس المجمع الفقهي
بشأن رسم المصحف الشريف

حكم تغيير رسم المصحف العثماني[١]:

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، سيدنا ونبينا محمد وآله وصحبه أجمعين . أما بعد :

فإن مجلس المجمع الفقهي الإسلامي قد اطلع على خطاب الشيخ/ هاشم وهبه عبدالعال، من جُدَّة، الذي ذكر فيه موضوع (**تغيير رسم المصحف العثماني إلى الرسم الإملائي**)؛ وبعد مناقشة هذا الموضوع من قبل المجلس واستعراض قرار هيئة كبار العلماء بالرياض رقم (٧١) وتاريخ (٢١/ ١٠/ ١٣٩٩ هـ) الصادر في هذا الشأن وما جاء فيه من ذكر الأسباب المقتضية بقاء كتابة المصحف بالرسم العثماني وهي :

١ ـ ثبت أن كتابة المصحف بالرسم العثماني، كانت في عهد

---

(١) قرارات مجلس المجمع الفقهي الإسلامي لرابطة العالم الإسلامي، من دورته الأولى لعام ١٣٩٨ هـ، حتى الدورة الثامنة لعام ١٤٠٥ هـ .

عثمان رضي الله عنه، وأنه أمر كتبة المصحف أن يكتبوه على رسم معين، ووافقه الصحابة، وتابعهم التابعون، ومن بعدهم إلى عصرنا هذا . وثبت أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « **عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي** » فالمحافظة على كتابة المصحف بهذا الرسم هو المتعين اقتداءً بعثمان وعلي وسائر الصحابة، وعملاً بإجماعهم .

٢ ـ إن العدول عن الرسم العثماني إلى الرسم الإملائي الموجود حالياً بقصد تسهيل القراءة؛ يُفضي إلى تغيير آخر إذا تغير الاصطلاح في الكتابة؛ لأن الرسم الإملائي نوع من الاصطلاح قابل للتغيير باصطلاح آخر .

وقد يؤدي ذلك إلى تحريف القرآن بتبديل بعض الحروف أو زيادتها أو نقصها، فيقع الاختلاف بين المصاحف، على مر السنين ويجد أعداء الإسلام مجالاً للطعن في القرآن الكريم، وقد جاء الإسلام بسد ذرائع الشر ومنع أسباب الفتن .

٣ ـ فيخشىٰ وإذا لم يلتزم الرسم العثماني في كتابة القرآن أن يصير كتاب الله ألعوبة بأيدي الناس، كلما عَنَّتْ لإنسان فكرة في كتابته اقترح تطبيقها، فيقترح بعضهم كتابته باللاتينية أو غيرها،

وفي هذا ما فيه من الخطر، ودرء المفاسد أولى من جلب المصالح .

وبعد اطلاع مجلس المجمع الفقهي الإسلامي على ذلك كله، قرر بالإجماع تأييد ما جاء في قرار مجلس هيئة كبار العلماء في المملكة العربية السعودية، من عدم جواز تغيير رسم المصحف العثماني، ووجوب بقاء رسم المصحف العثماني على ما هو عليه؛ ليكون حجة خالدة على عدم تسرب أي تغيير أو تحريف في النص القرآني، واتباعاً لما كان عليه الصحابة وأئمة السلف رضوان الله عليهم أجمعين . أما الحاجة إلى تعليم القرآن وتسهيل قراءته على الناشئة التي اعتادت الرسم الإملائي الدارج، فإنها تتحقق عن طريق تلقين المعلمين، إذ لا يستغنى في تعليم القرآن في جميع الأحوال عن معلم، فهو يتولى تعليم الناشئين وقراءة الكلمات التي يختلف في رسمها في المصحف العثماني عن رسمها في قواعد الإملاء الدارجة، ولا سيما إذا لوحظ أن تلك الكلمات عددها قليل وتكرار ورودها في القرآن كثير ككلمة (**الصلواة**)، و (**السموات**) ونحوهما، فمتى تعلم الناشيء الكلمة بالرسم العثماني سهل عليه قراءتها كلما تكررت في المصحف، كما يجري مثل ذلك تماماً في رسم كلمة (هذا) و (ذلك) في قواعد الإملاء الدارجة أيضاً .

والله ولي التوفيق وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

رئيس مجلس المجمع الفقهي : عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

نائب الرئيس العام : د. عبدالله بن عمر نصيف

الأعضاء :

الشيخ عبدالله العبدالرحمن البسام د. صالح بن فوزان بن عبدالله

الشيخ محمد بن عبدالله بن السبيل د. مصطفى الزرقا

الشيخ محمد محمود الصواف الشيخ محمد صالح بن عثيمين

فتوى الأزهر الشريف(١)

إن القرآن كتب في عهد النبي برسم كتبت به مصاحف عثمان، واستمر المصحف مكتوباً بهذا الرسم في عهد الصحابة والتابعين وتابعي التابعين والأئمة المجتهدين في عصورهم المختلفة، ولم ينقل عن أحد من هؤلاء جميعاً أنه رأى تغيير هجاء المصحف عما رسم به أولاً إلى تلك القواعد التي حدثت في عهد ازدهار التأليف في البصرة والكوفة، قال ابن خلدون في مقدمته، ص ٣٣٢ :

(كان الخط العربي لأول الإسلام غير بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ولا إلى التوسط؛ لما كان عليه العرب من البداوة والتوحش، وبعدهم عن الصنائع، وانظر ما وقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف حيث رسمه الصحابة بخطوطهم، وكانت غير مستحكمة في الإجادة فخالف الكثير من رسومهم ما اقتضته رسوم صناعة الخط عند أهلها، ثم اقتضى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب رسول الله صلى الله

---

(١) صورة عن الفتوى التي صدرت عن لجنة الفتوى في الأزهر الشريف عن مجلة الرسالة في العدد (٢١٦) سنة (١٩٣٧ م) .

عليه وسلم وخير الخلق من بعده، المتلقون لوحيه من كتاب الله وكلامه كما يقتضي لهذا العهد وليٌّ أو عالم تبركاً، ويتبع رسمه خطأ أو صواباً، وأين نسبة ذلك من الصحابة فيما كتبوه فاتبع ذلك وأثبت رسماً ونبه العلماء بالرسم على مواضعه، ولا تلتفتن في ذلك إلى ما يزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا محكمين لصناعة الخط، وأن ما يتخيل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيل بل لكلها وجه، ويقولون في مثل زيادة الألف في (**لاأَذْبَحَنَّه**) إنه تنبيه على أن الذبح لم يقع . وفي زيادة الياء في (**بأَيْيد**) إنه تنبيه على كمال القدرة الربانية . وأمثال ذلك مما لا أصل له إلا التحكم المحض، وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهم النقص في قلة إجادة الخط، وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليه الكمال بإجادته، وطلبوا تعليل ما خالف الإجادة من رسمه، وذلك ليس بصحيح) اهـ .

والله أسأل أن يعيذ المطلعين على هذه المقالات من الافتتان بشبهة ابن خلدون، وأرجو لهم أن يضعوا نصب أعينهم قول النبي صلى الله عليه وسلم : « **يد الله على الجماعة، فإذا شذَّ الشاذ منهم اختطفه الشيطان كما يختطف الذئب الشاة من الغنم** » وفي رواية :

« ومن شذَّ شذَّ في النار »، وأرجو أن يحذروا من أن يكونوا الشاة القاصية التي يأكلها الذئب .

أمـلاه

سعيد بن عبدالله المحمد العبدالله الحموي ثمَّ المكي

شيخ القراء وعضو جمعية العلماء في مدينة حماه

والأستاذ في قسم القراءات ـ سابقا ـ بجامعة أم القرى بمكة المكرمة

ومدير معهد الإمام الشاطبي في حماه

الفهرس

ترجمة المؤلف بقلم أحد تلامذته ٥
مقدمة المؤلف ١١
تمهيد ١٥
ما كتبه الشيخ علي محمد الضبَّاع في كتابه سمير الطالبين ... ٢٢
ما كتبه الشيخ محمد حبيب الله الشنقيطي في كتابه : (إيقاظ الأعلام لوجوب اتباع المصحف الإمام) كجواب على سؤال ورد من الهند ٣٣
مقتطفات من كتاب : رسم المصحف والاحتجاج به في القراءات، للدكتور عبدالفتاح شلبي ٤٨
وجوب كتابة المصحف بالرسم العثماني للشيخ علي النوري ـ رحمه الله ـ ٨٠
خلاصة ما تقدم في هذا البحث ٨٦
صورة عن قرار المجمع الفقهي ٨٨
صورة عن قرار لجنة الفتوى بالأزهر الشريف ٩٢

القول المنيف

في رسم المصحف الشريف

... ومن المؤسف حقاً أن نجد شذوذ أغمار وأدعياء يحاولون التشكيك في أصالة مرسوم الكتاب ... والدعوى هذه في مجملها - وإن تعلّلت بالتيسير زعماً، والتقريب رجماً - فهي عارية عن الدليل، منبئة عن جهل فاضح ...

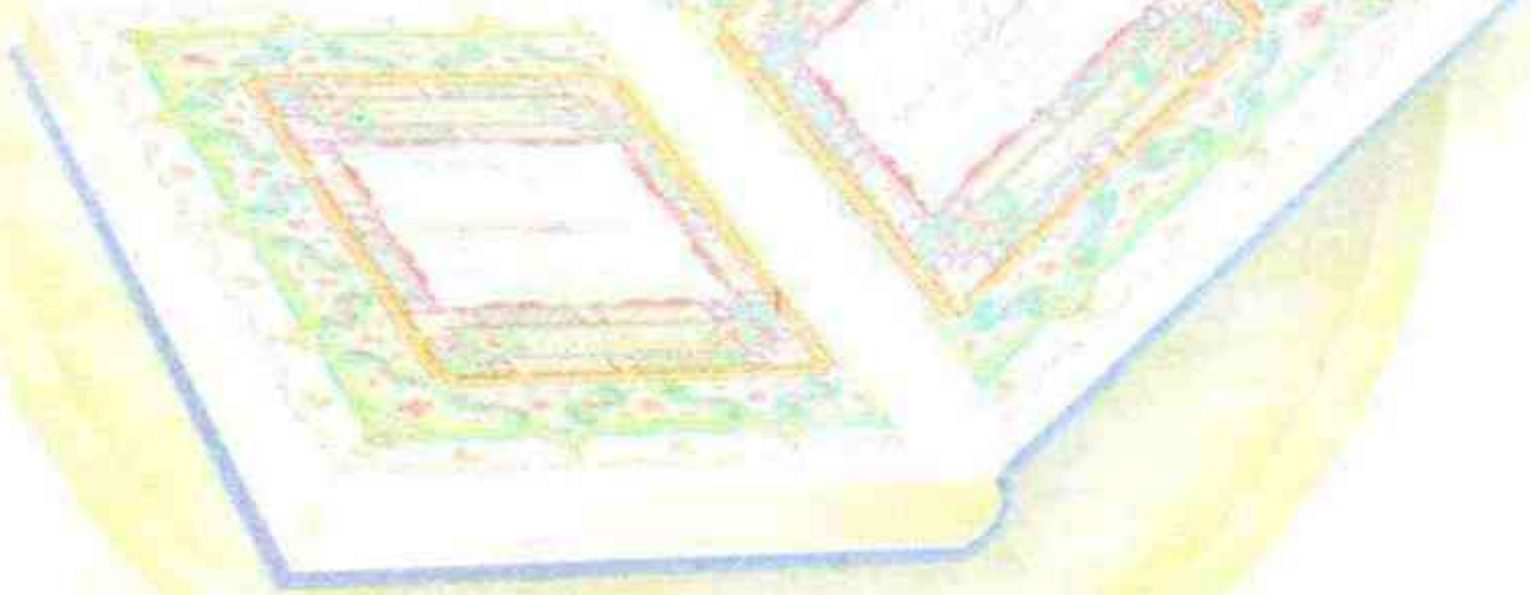

للأستاذ المقرئ الشيخ

سعيد بن عبد الله المحمد العبد الله الحموي ثم المكي

حفظه الله